التقرير السادس

باعمال المجمع العلمي العربي

— في سنتي ١٩٢٩ — ١٩٣٠ —

من السيد محمد كرد علي وزير المعارف ورئيس المجمع العلمي العربي الى صاحب الفخامة الاستاذ الشيخ محمد تاج الدين الحسني رئيس مجلس الوزراء في دولة سورية المعظم ·

غرض المجمع

لم يتحول المجمع العلمي العربي عن الغاية التي أنشئ لتحقيقها منذ ١٩١٩ · وكانت اللغة وكل ما يعيد اليها رونقها ، واحياء آثار السلف والمعاصرين : أهم ما تمحض له ، مستعيناً على نشر هذه الفكرة بالقاء محاضرات في بهوه ، في موضوعات أدبية وتاريخية وأثرية واقتصادية واجتماعية ، ولهذا الغرض أنشأ مجلته ، فكانت معيار ارتقاء الآداب في هذه الديار ·

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ذكرت في تقريري الخامس الذي رفعته الى فخامتكم منذ سنتين ان العشر السنين التي أتت على المجمع ، كانت دور تمرين ، واستقراء واستجماع قوى · وهاتان السنتان الماضيتان كانتا على هذا النحو ايضاً ، اللهم الا ما كان من دخول تعديل في وضع المحاضرات ، وفي نقد المطبوعات الحديثة · ولا يتيسر الآن الاضطلاع بغير ذلك لان المجمع في منزعه العلمي ادنى الى ان يكون من المحافظين المدققين ، منه الى المجددين المتسرعين · هو مفتون بجمال القديم ، ولن تفوته روعة الحديث ·

نعم يكره المجمع الجمود ، وكذلك يكره العبث بالقديم النافع ، فهو يسير باللغة كما سار المجمع العلمي الباريزي باللغة الفرنسية ، لا قليلا · يريد ان يحيي كنوزها القديمة ، ويحسن الانتفاع بتراث الاجداد ما أمكن ، فاذا أعوزته المادة اشتق وعرّب · ولا يخرج بحال عن روح هذا اللسان · ولذلك كان منذ بدء عمله ينقد من الكتب والمقالات كل ما يرجم باللغة القهقرى ، ويسلب منها بهاءها ورواءها · ولطالما استهدف لامتعاض بعض من نقد تآليفهم ومطبوعاتهم نقداً علمياً · والمجمع العلمي — وغيرته على الآداب غيرته — يصعب عليه ان يصانع المحسن وغير المحسن ، وهو يعتقد ان مجلته ليست من المجلات التجارية التي قد لا تمحض المتأدبين النصح نقيةً ومتافاةً · ولذلك تراه قد تجافى ايضاً عن بث دعاية واسعة النطاق لمجلته ، وترك مسألة انتشارها تجري في أعنتها ، لتعرف بطول الزمن ، لا بوسائط لا تتناسب مع شرف العلم وكرامة العلماء ·

لم يلتفت المجمع الا الى غرضه الذي اخذ نفسه به ، وأغفل ما ورد عليه من اعتراضات واقتراحات ، لانه يرمي الى انفاذ خطة عينها ، وانفاذ قانون له مسنون ، اذا خرج عن مضمونه ضاعت الفائدة منه ، وادرك العثار · وحبذا اليوم الذي يقلُّ في الشرق القائلون ، ويكثر العاملون ، ويدرك القوم ان لا حياة لأمة بغير التخصص ، وان من رُزق السعادة في ان يؤلف وينفع الناس في الأدب مثلاً ، يستحيل عليه ان يؤلف في الرياضيات ، وان الحائك غير الحدّاد ، والزارع غير التاجر ، وان أهم الاسباب فيما نال الشرق من انحطاط ، أن عمل الناس فيما لا يعلمون ، وقدروا كفاءاتهم اكثر مما تساوي ·

تعلمون يا مولاي ان العشر السنين والعشرين والثلاثين ، لا تعدُّ شيئاً يذكر في باب استكمال أسباب الحياة العلمية · وان أمة ضعفت ملكاتها العقلية ، بضعف العلوم والآداب قروناً عديدة ، يتعذر عليها ان تستعيد مكانتها الاولى في بضع سنين ، مهما بلغ من ذكاء أبنائها ، وتوفر لهم من أسباب التفوق والانبعاث · وان عاصمة بلاد كم انتضبط على كل حال بان قام فيها هؤلاء الجماعة من رجال المجمع يعنون باللغة وما اليها ، على حين حاولت أقطار عربية كثيرة إنشاء مثله ، فلم توفق مع الأسف الى اطراد عملها ، فتراجعت وعملها في دور التكوين · وكنا نقول ولا نزال نقول ، ان مصر كانت أحق

بهـذا الفضل ، بما تلقف بنوها من العلوم المختلفة ، وبما سبقننا به من الاخذ بمذاهب الارتقاء ، حتى جاءت فيها طبقة من العلماء والادباء يقل مثيلهـا في الاقطار العربية الاخرى . وعلى كل فهذا جهد المقل ، ورجاؤنا في المستقبل عظيم ، وشعارنا اذا كان فيمامضى السير ولو في الظلام ، فرمزنا في الآتي ان نسير في نور العلم الساطع .

كان تأسيس مدرسة الادب العليـا من أهم اماني المجمع ، فوضعت قواعدها الآن بفضل رعايتكم ، وقامت في السنة الماضية على الصورة التي ارتضيتموها ، وبعناية فخامة المسيو بونسو المفوض السامي للجمهورية الفرنسية في الشام ، الذي ما برح منذ كان رأس الانتداب في بلادنا العزيزة ، يأخذ بيد المجمع العلمي ، ويقدر عمله الضئيل قدره . ولقد ضمنت للدارسين بمدرسةالادب العليا — واربعة من اعضائه يدرّسون الآن في صفوفها — أسباب ارتقاء لغة البلاد ، واللغة الفرنسية اداة تمدننا الحديث . واذا تم هذا فللمجمع أمنيـة أخرى يعبّد لها الطرق الموصلة منذ سنين ، وهو احياء عدة كتب قديمة في الآداب ، ووضع معجم متوسط يضم اليه ماوضعه جماعته او غيرهم من الألفاظ والمصطلحات العلمية ، وبذلك يتيسر له او لغيره من الحكومات العربيـة الكبرى ، أن يقوم بعد حين بوضع معلمة عربية (دائرة معارف) ، مستعيناً بمن أنجبت البلاد العربيـة من الكاتبين والبـاحثين ، ومسترشداً بمن ضمهم الى جلتـه من علماء المشرقيات المستعربين في الغرب والشرق .

وقد طبع المجمع الجزء الثامن من كتاب نشوار المحـاضرة للتنوخي ، نشره الاستاذ مرجوليوث أستاذ جامعة اكسفورد واحد اعضاء المجمع العلمي ، ونشر محاضرة الدكتور اسعد الحكيم احد اعضائه في مضار المسكرات النفسية والاجتماعية ووزع كثيراً من نسخها مجاناً لتعم فائدتها .

ما تم من أعمال المجمع

وبعد فقد قضى المجمع دور الطفولة ، ودخل اليوم في اول سن الشباب ، او انه انتهى من دور التأسيس ، وبدأ بدور البناء ، وما أصعبه من دور على من يقدّر حفظ ما

التبعات . وقد كان في نية اعضاء المجمع ان يقيموا ، بمناسبة اتمام مجمعهم العقد الاول من حياته ، حفلة رسمية تكون لها صفة المؤتمر العام ، فيشهدها جميع اعضائه في البلاد الاخرى ، ومنهم علماء المشرقيات في الغرب ، ليتباحثوا الأدب واللغة والتاريخ ، على مثال مؤتمر علماء المشرقيات ، ثم رأى تأجيل ذلك ريثما يتمكن من اتخاذ عامة أسباب الفائدة للمؤتمر بن ليثمر المؤتمر ثمرة نافعة من كل الوجوه ، بفضل ماسيستمده المجمع من نخامتكم من قوة ، وازمع ان يظل على دؤوبه في مزاولة ماتتعاوره ايدي رجاله من الاعمال الادبية ، لعله بالنواقص المحسوسة في عمله ، فلا تكون دعوة العلماء من القاصية فلبلة الزبدة ، في زمن تقاس فيه الامور بنتائجها .

ولقد أدخل المجمع اصلاحات جمة على داره ، ودار الكتب الظاهرية التي أنيط به لاول امره تعهدها ، فرمّ في البناء ، واخذ الاسباب لاستملاك بعض ما كان داخلاً فيها ، وملتصقاً بها من المباني ، لتفي داره والدار المحاذية لها بغرضه ، من توسيع دائرته ، ولتكون الداران صالحتين لاستيعاب كل مايدخل دار الآثار من الجاميع ، ودار الكتب من الأسفار ، والزيادة فيها مطردة على مايتجلى ذلك من احصائها الاخير . ومن احصاء الكتب التي دخلت المجمع هدية من الطابعين والمؤلفين والجامعات والجمعيات ، يُعلم مقدار الثقة التي أصبحت له في الاندية العلمية في العالم . وهذه الثقة تزيد كلما تضاعفت العناية بتعهده ، وأثمر ثمرات دانية القطوف . فقد أوصى مؤخراً المرحوم الشيخ عبد الله الكزبري من الأسر القديمة في دمشق بخزانة كتبه للمجمع ، وعددها ٤٢٣ مجلداً فيها كثير من المخطوطات الجليلة النادرة ، وكان البادئ بمثل هذه المأثرة العلمية العلامة المرحوم رفيق بك العظم احد اعضاء المجمع ، فأوصى بخزائنه البالغة نحو الف مجلد للمجمع .

وقد بلغ ماأهدي في الحولين الاخيرين من الكتب ١٠٧٧ مجلداً ما بين مطبوع ومخطوط وما ابتاعه ١٣٤٦ كتاباً مطبوعاً و٦٢ مخطوطاً ، فبلغ عدد المخطوطات السابقة واللاحقة ٣٩٢٥ مخطوطاً والمطبوعات (١٥٨٠٧) اي ان المجموع غدا ١٩٧٣٢ مجلداً مخطوطاً ومطبوعاً . ومنها كتب فرع حلب ، ومنها مجموعة أهداها مؤخراً

جلالة ملك الحجاز ونجد وقدرها ٤٦ مطبوعاً ، واستنسخ المجمع بعض المخطوطات النادرة وابتاع منها ما عرض عليه مصوّراً ايضاً وسيكون له بعد سنين مجموعة نفيسة من النوادر المصورة بالتصوير الشمسي . وبذل المجمع همة في إتمام نواقصه من المطبوعات العربية والفرنسية ولا يزال على دؤوبه في هذا الشأن حتى تصبح مجموعاته كفيلة بغرض كل باحث ومتأدب ، وهو الآن يضع فهرساً مطولاً على أسلوب حديث ، لعشر مجلدات صدرت من مجلته الشهرية ، يستعين بها الباحثون ، فتكون المواد التي خاض عبابها اعضاء المجمع ومؤازروه في الشرق والغرب قريبة التناول على الباحثين . وتمت المعدات لنشر فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية .

وقد خص السيدات بردهة في هذه الدار منعزلة عن غرفة الرجال ، يقيم قيمة عليها تختلف اليها المتعلمات والدارسات . واذ رأى اقبال الرجال على غرف القراءة ، خصوصاً بعد وضع نظام البكالوريا والمتاح مدرسة الآداب العليا ، جدّ ان يمهد السبيل امام الطلاب فيستكثر من المصنفات التي تفيدهم في الفروع التي يحاولون التوسع فيها ، ورأى من جهة ثانية ان بعضهم مولعون بقراءة صحف الاخبار السياسية فقرر ان تحجب عنهم ، وتحفظ مجاميعها في مستودعه ، يرجع اليها عند الضرورة ، فكان من ذلك انكباب الطلاب على كتب العلم والمجلات العلمية والادبية . وجهز غرف دار الكتب باحسن المناضد والمفروشات ليكفل للمطالعين راحتهم . وقرر ان لا تعرض الكتب الحديثة على مناضده الا بعد سنة من نشرها حرصاً على مصلحة الوراقين وترويجاً لما يطبعون ، وكان توسع في إعارة مطبوعاته الى خارج دار الكتب فرأى ان هذه التجربة قد عاقت الكتب عن استفادة بعض الدارسين ، فألغى قراره الاول وجعل الاعارة محصورة بالمطالعين في الخزانة الظاهرية وخزانة المجمع الخاصة فقط .

ولقد بلغ عدد قراء الكتب المخطوطة والمطبوعة في قاعة المطالعة ٢٨٠٠٠ قارئ بمعدل ١٤٠٠ شهرياً ، وعدد القراء المستعيرين خارج دار الكتب مدة ستة اشهر من الكتب المطبوعة ١٨٣٠ ، بمعدل ٢٥٠ في كل شهر ، وبلغ عدد قراء المجلات العلمية في قاعة المطالعة ١٠٤٠٠ بمعدل ٨٠٠ في الشهر . وزار قسم المخطوطات في قبة الملك

الظاهر من السياح الغربيين والشرقيين (٣٥١٠) زوار ، وبلغ عدد استمارات الكتب داخل قاعة المطالعة (١١٥٠٠) استمارة ، وذلك من شهر تشرين الثاني سنة ١٩٢٩ الى آخر شهر تشرين الثاني سنة ٩٣٠ وعدد استمارات المجلات (٥٢٠٠) استمارة . وبلغ ما أعطي من الرخص للقراء ٩٩٥ رخصة مدة سنة واحدة . وقد انصرفت همة المجمع الى تجليد ستات من كتبه ، وهو اليوم يرمّ جميع مابلي من جلود الكتب المخطوطة ليرجعها الى ما كانت عليه في الجملة .

اعضاء المجمع

بلغ اعضاء المجمع العلمي في آخر السنة الماضية مائة وثلاثة عشر عضواً ، ستة وسبعون منهم في الشرق ، ومنهم ثمانية عشر عضواً في دمشق ، وبلغ عدد اعضائنا في الغرب سبعة وثلاثين عضواً من أمم مختلفة ، لم يراع المجمع في انتخابهم النسبة بين الامم الكبرى والصغرى : فقد تجد له في الدانيمرك مثلاً ثلاثة اعضاء ، وتجد له في بريطانيا العظمى ثلاثة فقط ، والمجمع يستفيد من اكثر اعضائه الا من بلغوا من السن عتياً ، فانهم متقاعسون عن خدمته على غير ارادتهم ، ولكن المجمع قصد من ضم امثال هؤلاء الأعلام ، معنى من معاني التنويه بهم على ما قدموه من الأعمال الصالحة في خدمة الآداب العربية .

ولقد كانت السنتان الماضيتان من أفجع سني المجمع العلمي ، فقد توفي سبعة من أعضائه ، ستة من المشارقة وواحد من المغاربة ، وهم العلماء الأعلام احمد تيمور باشا ، والشيخ مسعود الكواكبي والشيخ عبد الله البستاني والسيد عبد الباسط فتح الله والسيد جبر ضومط والشيخ محمد بن ابي شنب ، والسيد ميشو بللير (رحمة الله عليهم) . خسر المجمع بهم اعضاء عطفوا عليه وأفادوه بارشادهم وعلمهم . وكانت مصيبته عظيمة جداً بالمرحوم احمد تيمور باشا الذي جعل قلمه وعلمه وخزانة كتبه وخزانة ماله ، منذ انشاء المجمع ، مباحاً له ، فآزره في مجلته بقلمه ، وأهداه مئات من الكتب المطبوعة والمصوّرة بالتصوير الشمسي ، ووهبه مجموعة نفيسة جداً من النقود القديمة ، لاتزال في دار الآثار على الدهر

ناطقة بفضله وكرمه · ولما عاتبه رحمه الله احد المصريين على تنازله عن مجموعته من النقود لمدينة دمشق أجابه بلطفه المتناهي : « اني أعطيت مدينة القاهرة خزانة كتبي (نحو ثلاثة عشر الف مجلد نحو نصفها من المخطوطات النادرة) ومدينة دمشق وهي بلدة عربية اسلامية جديرة بان تساعد ايضاً » ·

ولو أراد المجمع ايضاً ان يضم اليه جميع من خدموا لغتنا من علماء المشرقيات المستعربين في الغرب فقط ، لاقتضى له ان يدخل في جماعته عشرات من الاعضاء ، وكذلك لو سمت همته الى ادخال كل عالم او اديب نبغ في مصر والشام والعراق فقط لتألف من مجموعهم عشرات ايضاً · وانتخب المجمع العلمي خلال الحولين المنصرمين ثلاثة اعضاء وهم الاساتذة خليل بك مطران ، والسيد خير الدين الزركلي في القاهرة ، والسيد معروف الارناؤط في دمشق ولكل من هؤلاء الاساتذة مزايا نافعة ، وأعمال في البحث والتأليف تشهد لهم بعلو الكعب في خدمة الادب العربي · ومعلوم ان المجمع يقصد في انتخاب اعضائه صفة خاصة فيهم ، ومزية علمية او أدبية تفردوا بها ، دون النظر الى اعتبارات أخرى ، دينية كانت او سياسية · فالأعضاء أحرار في منازعهم وأفكارهم ، ولا يطلب منهم الا ان يراعوا غرض المجمع فقط ، يوم يكتبون له ويؤلفون ، ويحاضرون ويفيدون ، وهو عملي صرف لايهتم لغير الآداب ونشر الأفكار الصحيحة على ما أثبت ذلك بالبرهان الساطع منذ انشائه ·

مالية المجمع

منذ استقل المجمع بموازنته ، وأصبح يتمتع بشخصيته المعنوية ، ويتصرف بشؤونه على ما يرى فيه النفع له ، اخذت اعماله تطرد اطراداً حسناً ، والرجاء معقود ان يكون مستقبله خيراً من ماضيه ، فلا يعوقه غداً ماعاقه بالامس من العوائق التي صدته في بعض السنين عن تحقيق بعض رغباته · وكان جل اعتماد المجمع في اعماله خلال الأعوام الغابرة على ماتمنحه له الحكومة من الاعتماد المالي والهبات المالية التي يقدمها له بعض الغُيُر على الآداب من شاميين ومصريين وعراقيين وغيرهم ، وكانت ولاتزال قليلة بالنسبة لجلالة الموضوعات التي يعانيها ، واكثرها مما يتطلب مالاً كما يتطلب علماً · على ان مقدار

الهبة التي تجود بها نفس كريمة على العلم مهما خفت في الميزان ففيها من معاني العطف وحب التقدم اثر جميل ·

كان مجموع المبلغ المخصص في سنة ١٩٣٠ للرواتب والمكافآت ١٤/١٢٦٦٣٣ ليرة سورية والمخصص للنفقات ١٠٦٦٦٦ وكانت اعانة الحكومة ١٣٠٠٠٠ ليرة سورية وللمجمع في المصرف باسمه مبلغ ١١٦٧٢٥ ليرة سورية من وفر السنة الماضية · اما الهبات المالية التي أرسلها اليه بعض اهل الأدب والوجاهة في العامين المنصرمين فلا تتجاوز المئة والخمسين ليرة سورية ·

لا جرم انكم تحسون ان هذا الاعتماد قليل ، اذا نُظر الى ما عند المجمع العلمي من الأعمال في المستقبل القريب ، وان أقصى ما يمكن من الاقتصاد يعمل فيه ، وذلك لان المجمع يأبى الآن ان يكلف الحكومة شططاً ، وهو يعرف ان أمامها مشاريع حيوية أخرى ، تتطلب اعتمادات عظيمة في السنين القادمة ، ولاسيما في باب بناء المدارس في المدن والقرى واعمال الري وتعبيد الطرق وبناء دور الحكومة وغيرها · بيد ان هذين البناءين اللذين اورثنا اياهما ملكان عظيمان ابو بكر بن ايوب والظاهر بيبرس البندقداري (رحمهما الله) ، وهما المدرستان العادلية والظاهرية اذا وفتا اليوم ببعض الغرض ، فمحال ان تستوعبا غداً اعمال المجمع والدوائر التابعة له ، لان دار الآثار التي يؤويها المجمع في داره تتسع اعمالها سنة عن سنة ، وكذلك دار الكتب الظاهرية · ومن المحتم ان تضطر الدولة بعد حين الى ان تنشئ داراً للمجمع العلمي ، تكون في جوار دار الكتب ، ليسهل على رجاله ان يرجعوا الى مخطوطاتها عند الحاجة ، او ان تنشئ داراً خاصة للآثار فيستأثر المجمع ببنايتــه وحده ، او تبتاع خان اسعد باشا العظم لتجعل منه متحفاً ·

وطُلب الى المجمع في السنتين الغابرتين ان يتولى ادارة بعض خزائن الكتب التي أنشئت حديثاً ، وذلك مثل المكتبة الخيرية في حماة والمكتبة السكرية ومكتبة الشاغور في دمشق ، والخزانة التنوخية في عبية في لبنان · والغالب ان المجمع يصعب عليه الآن ان يحمل هذه الخزائن تحت حمايته لان ذلك يستدعي نفقات لا تتسع لها موازنتــه ، ولو اتسعت على ما يجب لبدأ بترميم المدرسة الأشرفية البرانيــة في سفح قاسيون ، وكانت

ادارة الاوقاف نزلت له عنها ، ليجعل منهـا غرفة قراءة ونادي محاضرات ، فأخره عن المضي في عمله قلة المال الذي يجب تخصيصه لهذا المقصد الخيري · ولذلك اكتفى المجمع باهداء هذه الخزائن مجموعات من الكتب ، سواء أكانت من مطبوعاته او غيرها · ومن جملة ما أهدى من ذلك ، مجموعة من الاسفار لخزانة الكتب التي أنشئت في السويداء حاضرة جبل الدروز بمعرفة السلطة العسكرية وهي سبعون مجلداً · اما انشاء خزانة كتب تسبَّل على الناس في كل بلد تحت رعاية المجمع فامر يقتضي له جهد عظيم قد يخرج المجمع عن مقصده الاول ·

وبعد فليس في الدول المشمولة بالانتداب عمل تتخطى تأثيراته حدود هذه الدولة مثل هذا المجمع العلمي العربي ، ولذا كان حرياً بحكوماتها وغيرها من الاقطار المجاورة ان تعاونه بماديانها ، كما يعاونه بعض افرادها · فخدمة اللغة العربية وآدابهـا ليست مقصورة على هذه الديار وحدها ، وبلادنا بقدر ما ساعدتها حالها ، قامت بالواجب عليها من هذا القبيل ، أفما كان من الواجب على البلاد المجاورة ان تقوم بقسم مما يجب عليها لخدمة ادب العرب ، والمجمع العلمي العربي سواء أقام في دمشق او صنعاء او القاهرة اوالقيروان ، فان جهوده تعود بالنفع على الناطقين بالضاد ، أفليسوا مكلفين ضمناً ان يقوموا على الأقل ببعض شأنه ، تنشيطاً له على اتمام رغباته · واللغة من اول المرافق التي تعد من المصالح المشتركة ·

* * *

دار الآثار

ولا يسعني في هذا المقام الا ان أشير الى اعمال دار الآثار ، لانها وليدة المجمع العلمي وربيبته ، ولا يزال يعطف عليهـا ، وان باعدت بينهما المظاهر الادارية (التقرير الخامس الصفحة الخامسة) وهذا احصاء ما ورد في العهد الاخير على دار الآثار من التحف والعاديات :

	سنة ١٩٣٠	سنة ١٩٢٩
	عدد	عدد
الآثار الحجرية	٤٠	٢٦
« الخزفية	١٤١	٦٧
« المعدنية	٤٩	١٦
« القاشانية	٤٨	١٢
« الزجاجية	٨	٥
« الخشبية	٨٩	٥
النقود	٦٢	٣٥٩
آثار متنوعة	٩٩	٦
	٥٣٦	٤٩٦

فاذا أضيف هذا العدد الى مجموع محتويات دار الآثار بلغ المجموع ٨٥٥٣ قطعة . ولم تدخل في احصاء سنة ١٩٣٠ الآثار التي اكتشفت في المشرفة قرب حمص وصوران وصالحية الفرات ، لانها لم تزل في صناديقها ولم تحمل ؛ لعدم وجود مكان لعرض فيه ويبلغ عددها ٣٠٠ قطعة تقريباً . و بلغ عدد زائري دار الآثار بدمشق ممن دفعوا رسم الدخول :

سنة ١٩٣٠	سنة ١٩٢٩
عدد	عدد
٣٥٠٠	٣٧٠٠

اما البعثات الاثرية في سورية التي هي مادة داري الآثار في دمشق وحلب فهذه أهمها :

(١) البعثة الفرنسية التي تنقب لحساب جامعة يل الاميركية في صالحية الفرات برئاسة المسيو بيليه

(٢) البعثة الفرنسية ومديرها الكونت دومنيل في المشرفة (حمص) .

(٣) البعثة الفرنسية ومديرها الكونت دومنيل في خان شيخون
(٤) « « في الرصافة
(٥) « « في ارسلان طاش وتل الاحمر
(٦) اعمال كشف تدمر تقوم بها مديرية الآثار القديمة في المفوضية
(٧) حفريات قلعة حلب
(٨) حفريات تسيل في حوران تقوم بها ادارة دار الآثار بدمشق
(٩) حفريات قلعة المضيق تقوم بها بعثة بلجيكية

هذا وقد طبعت ادارة دار الآثار دليلاً لما حوته حتى الآن من العاديات المنوعة وطبعت على نفقتها مجمل رقم تدمر تأليف المسيو كانتينو . ونظراً لنمو دار الآثار السريع فقد ضاق البناء بمحتوياته ولذلك قد استملكت ادارته داراً مجاورة لبنائه الحالي .

وقد خصت حكومة حلب دار سعادة الجنرال بيوت التي كانت أهدته اياها بلدية الشهباء اقراراً بفضله على تلك المدينة وعاد فتنزل عنها للواهب الاول — خصتها لتجعل دار الآثار و يجعل في الطابق العلوي منها فرع المجمع العلمي العربي هناك . وهكذا كانت الآثار كاللازم والملزوم مع المجمع العلمي . وسينتقل فرعنا في حلب الى هذه الدار ، ورئيسه هناك كرئيس المجمع العلمي في دمشق ، رئيس مجلس الآثار ، وبعض اعضائه اعضاء به ، وفي النية تأسيس متحف في انطاكية عاصمة سورية قديماً ، يجعل فيه ما عثر و يعثر عليه في ارجاء لواء الاسكندرونة ، كما خصت حلب بجميع ما يستخرج في ولايتها من العاديات والتحف .

هذه أغراض المجمع وعمله ونسأل لكم يا اصحاب الفخامة حسن التوفيق لتسيروا بالبلاد في طريق سعادتها بنشر العلوم والآداب .

دمشق : في ٢ رمضان سنة ١٣٤٩ وفي ٢٠ كانون الثاني سنة ١٩٣١

وزير المعارف
ورئيس المجمع العلمي العربي
محمد كرد علي

المتبرعون للمجمع العلمي

« بمال او آثار او كتب مخطوطة او مطبوعة »

« أ »

السيد ابراهيم اطفيش	القاهرة
ابو كامل المعلم	دمشق
السيد ابراهيم زيدان	القاهرة
احمد تيمور باشا	«
احمد شوقي بك	«
احمد اغا الخانجي	دمشق
السيد احمد الطويل	«
الدكتور احمد عيسى بك	القاهرة
السيد احمد امين الديك	«
الشيخ احمد الاسكندري	«
« احمد فهمي العطار	دمشق
احمد زكي باشا	القاهرة
الشيخ احمد عارف الزين	صيدا
الامير احمد مختار الجزائري	دمشق
الشيخ احمد رضا	النبطية
احمد عزت باشا العابد	دمشق
السيد اديب البهنسي	«
اديب مصري	القاهرة
ادارة المسرة	جونيه
السيد ارنست هرزفلد	المانيا
« اسكندر الخوري البيتجالي	القدس
« اسعاف النشاشيبي	«
« اسعد خليل داغر	القاهرة
اكاديمية لينچاي الملكية	رومية
السيد الياس انطون الياس	القاهرة
« امين الدالاتي	دمشق
« امين هندية	القاهرة
« امين زيدان	«
امير البحرين	البحرين

« ب »

السيد براون	كمبريدج
البعثة الفرنسية	دمشق
السيد بدر الدين الشركسي	قنيطرة
« بشارة الاصفر	دمشق
« بفن	كمبريدج
الشيخ محمد بهجة الاثري	بغداد
السيد بهاء الدين الجابي	دمشق
بلدية دمشق	
بلدية حمص	

« ت »

السيد توفيق شامية	دمشق
الشيخ توفيق المنبني	〃

« ج »

جاك بك ثابت	بيروت
جامعة سيام	
جامعة ليون	
جامعة بوردو	
جامعة ستراسبورغ	
الجامعة المصرية	
السيد جورجي رزق الله	بيروت
الامير جعفر الحسني	دمشق
السيد جميل الكواكبي	〃
الجمعية الآسياوية	باريز
السيد جبنازردي	دمشق

« ح »

السيد حافظ زكية	حمص
الدكتور حبيب قشيشو	دمشق
الدكتور حسن رعد	طرابلس الشام
السيد حسن حسني عبد الوهاب	تونس
〃 حسام الدين الكزبري	دمشق
〃 حمدي النصر	〃
〃 حمدي الجلاد	〃
〃 حمدي الكيلاني	〃
الشيخ حمدي الحلبي	〃

« خ »

الامير خالد الحسني الجزائري	دمشق
السيد خالد الخاني	〃
〃 خالد العظم	〃
〃 خالد معاذ	القاهرة
〃 خالد يحيى	طرابلس الشام
خزانة كتب الامة	برلين
السيد خورشيد الشركسي	دمشق
〃 خليل مردم بك	〃
〃 خير الدين الزركلي	القاهرة

« د »

دار الكتب المصرية	
السيد داود صدقي الماردينى	دمشق
〃 درويش الدهان	〃
〃 ديمتريوس قاضي	〃

« ر »

المسيو راجي	〃
السيد رسلان البلعوط	〃
〃 رفيق العظم	القاهرة
〃 رضا الجوخدار	دمشق
〃 رضا الشربجي	〃
〃 رؤف الايوبي	〃

« ز »

السيد زكي مغامز	الاستانة
〃 زعل الدغيم	خسفين

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

« س »	
السيد سامي البكري	دمشق
الامير سعيد الحسني الجزائري	«
الشيخ سعيد الرافعي	القاهرة
الشيخ سليم البخاري	دمشق
السيد سليم عنحوري	«
السنيور سبرانزا	«
السيد صالح الاكتع	«
« ش »	
« شفيق الحسيني	حمص
« ص »	
« صالح القشطوني	دمشق
الدكتور صالح شوري	«
السيد صادق العطار	«
« صبحي الطباع	«
« صبري اديب الكاشف	«
« صدقي نور الله	جبلة
« صفوح المؤيد	دمشق
« ط »	
الشيخ طاهر الجزائري	«
الامير طاهر الحسني الجزائري	«
السيد طلعت حرب	القاهرة
« ع »	
الشيخ ابو عبد الله الزنجاني	ايران
« عبد المعطي السقا	القاهرة

السيد عبد القادر العظم	دمشق
« عبد الرحمن اليوسف	«
الشيخ عبد القادر المغربي	«
« عبد الواسع اليماني	القاهرة
السيد عبد الله الاستاذ	دمشق
الشيخ عبد الله الكزبري	«
السيد عبد الجواد الحسيني	حمص
« عثمان العظم	دمشق
« عزت احمد العظم	«
« عزالدين علم الدين التنوخي	«
جلالة الامام عبدالعزيز بن سعود ملك الحجاز ونجد وملحقاتها	مكة المكرمة
السيد محمد عطاء الله الايوبي	دمشق
البرنس عمر طوسون باشا	القاهرة
السيد عمر الخشاب	«
عين الملك خان	دمشق
السيد عيسى البابي الحلبي	القاهرة
« عيسى اسكندر المعلوف	زحلة
« عبده خير الله	دمشق
« غ »	
« غريغوريوس حداد	«
« ف »	
« فارس قمحة	«
الامير فاعور الفاعور	القنيطرة
السيد فائز العظم	دمشق

ARCHIVE http://archivebeta.sakhrit.com

السيد فخري آل جميل	بغداد
» فخري البارودي	دمشق
الشيخ فرج الله زكي الكردي	القاهرة
السيدتان فريد ونديم الغزي	دمشق
السيد فريد العمري	»
» فؤاد الفرا	»
» فهمي ابيو	»
جلالة فيصل الاول ملك العراق	بغداد
« ق »	
القومندان بورجوا	حمص
« ك »	
الامير كاظم الحسني الجزائري	دمشق
السادة كالمان ليفي الكتبيون	باريز
« ل »	
لجنة التأليف والترجمة والنشر	القاهرة
« م »	
المارشال ليوتي	باريز
السيد مأمون المؤيد	دمشق
مجلس النواب المصري	القاهرة
مجلس النواب الفرنسي	باريز
المجمع العلمي البلجيكي الملوكي	بروكسل
محمد باشا العظمي	دمشق
السيد محب الدين الخطيب	القاهرة
الشيخ محمد بهجة البيطار	دمشق
السيد محمد بن الحسن الحجوي الثعالبي	فاس

الشيخ محمد الخضري	القاهرة
السيد محمد جمال	بيروت
» محيي الدين رضا	القاهرة
» محيي الدين الازهري	النبطية
الامير محمد نجل الشيخ عيسى آل خليفة شقيق امير البحرين	البحرين
السيد محمد ابراهيم الباكر	البحرين
» محمد امين الخانجي	القاهرة
» محمد بن يحيى الصقلي	الدار البيضاء
» محمد عبد الواحد الطوبي	القاهرة
» محيي الدين الكردي	»
» محمد فائز الصفرجلاني	دمشق
» محمد حاجي قولي	حلب
» محمد علي الحلبي	دمشق
» محمد الحمصي	»
» محمد شفيق السيوفي	»
» محمود شغلول	»
» محمد خير الجوخدار	»
» محمد ابو فورة	»
الشيخ محمد رشيد رضا	القاهرة
السيد محمد الهراوي	»
مدرسة اللغات الشرقية	باريز
السيدة مريام هاري	»
مرعي باشا الملاح	حلب
الشيخ مسعود الكواكبي	دمشق

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الامير مصطفى الشهابي	دمشق
السيد مصطفى البابي	القاهرة
المطبعة الاميركية	بيروت
مكتبة الخانجي	القاهرة
مكتبة سان باولو	البرازيل
المكتبة السلفية	القاهرة
المكتبة التجارية الكبرى	»
السيد ممدوح هنانو	حلب
» منير البرازي	حماة
» منير الدمشقي	القاهرة
» منيف اليوسف	دمشق
السيدان مهدي وعبده مرتضى	»
السيد ميخائيل مخاش	لبنان
» ميخائيل فغالي	بوردو
المسيو ميليا	باريز
الامير ميرزا مصطفى	سلمية
« ن »	
السيد نجيب متري	القاهرة
» نعيم عرابي	دمشق

« هـ »	
المسيو هنري دي جوفنيل	باريز
« و »	
وزارة الاشغال	القاهرة
وزارة الاشغال	باريز
وزارة المالية	دمشق
وزارة الزراعة	»
وزارة الاوقاف	القاهرة
وزارة الزراعة	»
وزارة المعارف والفنون	باريز
وزارة المعارف	القاهرة
« ي »	
السيد يحيى الصواف	دمشق
الدكتور يعقوب صروف	القاهرة
البرنس يوسف كمال	»
السيد يوسف توما البستاني	»
» يوسف ابراهيم	جبلة
» يوسف السبع	دمشق
» يوسف امين شدباق	لبنان

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

محاضرات المجمع

ما عدا حفلات التكريم وحفلات المراثي التي أقامها المجمع لبعض اعضائه وغيرهم :

—« سنة ١٩٢١ »—

« عنوان المحاضرة »	« اسم المحاضر »	«تاريخ القاء المحاضرة»
طرفة ابن العبد (ادب)	الشيخ عبد القادر المغربي	١٧ نيسان سنة ١٩٢١
الحسبة في الاسلام (اجتماع)	السيد محمد كرد علي	١٣ حزيران ١٩٢١
احياء اللغة العربية (ادب)	» متري قندلفت	٢٢ منه
الملاريا و كيفية الوقاية منها (صحة)	الدكتور مرشد خاطر	١ تموز ١٩٢١
الشعر و تأثيره في الاخلاق (اجتماع وادب)	الشيخ عبد الرحمن سلام	١٤ منه
العلم (اجتماع)	السيد انيس سلوم	١٩ منه
القضاء في الاسلام (ادب وفقه)	» عارف النكدي	٢٤ منه
الجباية في الاسلام (اجتماع	» محمد كرد علي	٣١ منه
أحيحة ابن الجلاح (ادب وتاريخ)	الشيخ عبد القادر المغربي	١٠ ايلول
الحقوق المدنية في الشرق (قانون)	» سعيد مراد الغزي	١٣ تشرين الاول
العلم بالعمل (اجتماع)	السيد انيس سلوم	٢٤ منه
صناعة الانشاء العربي (ادب)	الشيخ سعيد الكرمي	١ كانون الاول

—« سنة ١٩٢٢ »—

الاخلاق والاجتماع (اجتماع)	الشيخ عبد القادر المبارك	٦ تشرين الاول
كيف نحقق الآثار التاريخية (تاريخ)	السيد عيسى اسكندر المعلوف	١٣ منه
طُرفة أدب من آداب العرب (ادب)	الشيخ عبد القادر المغربي	٢٠ منه
الكتب والمطالعة (اجتماع)	السيد انيس سلوم	٢٧ منه

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

« عنوان المحاضرة »	« اسم المحاضر »	« تاريخ القاء المحاضرة »
الشعر او حرفة الادب (ادب)	الشيخ عبد الرحمن سلام	٨ تشرين الثاني
اصول الاتحاد (حقوق)	السيد فارس الخوري	١٧ منه
الاخلاق والحقوق الدولية (حقوق)	″ فوزي الغزي	٢٣ منه
المرأة في ادوارها التاريخية (تاريخ واجتماع)	الشيخ سعيد مراد الغزي	١ كانون الاول
″ ″ ″ ″	″ ″ للسيدات	٤ منه
خلاصة اعمال المجمع منذ نشأته	السيد محمد كرد علي	٧ منه
صفحة من تاريخنا الاجتماعي (اجتماع وتاريخ)	الشيخ عبد القادر المغربي	١٥ منه
الصناعات الدمشقية القديمة (تاريخ)	السيد عيسى اسكندر المعلوف	٢٢ منه
مصانع الشام وهندستها ″	″ محمد كرد علي	٢٩ منه
فن الطب والصيدلة في فرنسا (طب)	الدكتور شارل	٣١ منه
— « سنة ١٩٢٣ » —		
الحركة الدائمة (طبيعيات)	السيد عبد الله رعد	١٢ كانون الثاني
من لا يكرم نفسه لا يكرم (اخلاق)	″ انيس سلام	١٩ منه
محاضرة اخلاقية (اخلاق)	الشيخ محيي الدين الخاني للسيدات	٢٧ منه
هواء المدن (صحة)	الدكتور مرشد خاطر	٥ شباط
تاريخ العلم في الشام (تاريخ)	السيد محمد كرد علي	٩ منه
القدوة بالصحابيات من خير الاعمال الصالحات (اخلاق)	الشيخ عبد القادر المغربي للسيدات	١٦ منه
مخطوط تاريخي دمشقي (ادب)	″ ″ للرجال	١٦ منه
الصناعات والواجبات (اقتصاد)	السيدة مسرة ادلبي للسيدات	٠٠
التراسل بحمام الزاجل (تاريخ)	السيد عيسى اسكندر المعلوف	٢٣ منه
لكل امرئ من دهره ما تعودا (اخلاق)	السيد انيس سلوم	٢ آذار
الصدق في القول والعمل ″	الشيخ عبدالله العلمي للسيدات	٣ منه
تأثير الطرق في هواء المدن (صحة)	الدكتور مرشد خاطر	٩ منه

ARCHIVE http://archivebeta.Sakhrit.com

« عنوان المحاضرة »	« اسم المحاضر »	« تاريخ القاء المحاضرة »
العلم في سورية في القرون الاخيرة (تاريخ)	السيد محمد كرد علي	١٦ آذار ١٩٢٣
نبأ عجيب من أنباء العرب (ادب وتاريخ)	الشيخ عبد القادر المغربي	٢٤ منه
تاريخ الطب عند العرب (تاريخ)	الدكتور اسعد الحكيم	٣٠ منه
« « (تتمة)	«	٦ نيسان
تتمة القضاء في الاسلام (فقه وتاريخ)	السيد عارف النكدي	١٣ منه
خديجة والاسلام	الشيخ عبد القادر المغربي للسيدات	«
الطب العربي (طب وتاريخ)	الدكتور اسعد الحكيم	٢٠ منه
وصف آثار تاريخية في متحفنا الوطني «	السيد عيسى اسكندر المعلوف	٢١ منه
اثنا عشر كوكب (ادب «)	الشيخ عبد القادر المغربي للسيدات	٢٧ منه
سكان الشام ولغاتهم «	السيد محمد كرد علي	٣ أيار
عائشة الباعونية (ادب «)	الشيخ عبد القادر المغربي	١٠ منه
بين العرب والروم في الشام «	السيد محمد كرد علي	٢ حزيران
تعزيز اللغة العربية (ادب)	« انيس سلوم	٨ منه
آداب المرأة (اخلاق)	الشيخ خالد النقشبندي	٨ منه
حياة شيخ الاسلام ابن تيمية (فقه وتاريخ)	« بهجة البيطار	١٥ منه
صفحة من تاريخ بني أمية «	السيد محمد كرد علي	٢٢ منه
السيد الفيومي (اجتماع)	الشيخ عبد القادر المغربي للسيدات	٢٣ منه
الالعاب الاولمبية والرياضة البدنية «	السيد عيسى اسكندر المعلوف	٢٩ منه
فصحاء الاعراب (تاريخ وادب ولغة)	الشيخ عبد القادر المغربي	٦ تموز
الارادة القوية (اخلاق)	السيد انيس سلوم	١٤ منه
آخر عهد الحكم العربي في بلاد الشام (تاريخ) «	محمد كرد علي	٣ آب
فصحاء الاعراب (ادب ولغة)	الشيخ عبد القادر المغربي للسيدات	٦ منه
آخر عهد الحكم العربي في بلاد الشام (تتمة)	السيد محمد كرد علي	١٠ منه
سويسرا في افريقية او بلاد النجاشي (تاريخ) «	عبد الله رعد	١٧ منه

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

« عنوان المحاضرة »	« اسم المحاضر »	« تاريخ القاء المحاضرة »
محاسن ماشاهدت في طوافي حول الارض (رحلة واجتماع)	السيد حنا خباز	٢٤ آب
اللغة العربية العامية ومنزلتها من الفصحى (ادب ولغة)	« الياس القدسي	٣١ منه
الكرم وتأثيره في عالم الاجتماع (اخلاق)	« سليم عنحوري	٧ ايلول
سائح يصف الشرق (تاريخ وجغرافية)	الشيخ عبد القادر المغربي	١٤ منه
إعراس الخليفة المأمون ببوران بنت الحسن (ادب)	السيد قسطاكي الحمصي	٢١ منه
الراديوم (فن)	الدكتور فيليب بركات	٢٨ منه
الحرية الشخصية (حقوق)	« احسان الشريف	٥ تشرين الاول
اليابان وزلازلها (تاريخ وجغرافية)	السيد اديب التقي	١٢ منه
عمل الذهب بالطريقة الصناعية (فن)	« عبد الوهاب القنواتي	٢٦ منه
صيارفة الشام منذ مائة عام (تاريخ)	الشيخ عبد القادر المغربي للرجال	٩ تشرين الثاني
شهداء النساء في نشأة الاسلام «	« « للنساء	٧ كانون الاول
— « سنة ١٩٢٤ » -		
آثار شرقي الاردن وموجز من تاريخه وجغرافيته وفي ختام الحفلة قصيدة للسيد حليم دموس	السيد اديب وهبة	٤ كانون الثاني
الزلازل في سورية (تاريخ)	السيد عيسى اسكندر المعلوف	١١ منه
الاولاد وتربيتهن (اجتماع)	الشيخ عبد القادر المغربي للسيدات	١١ منه
آثار شرقي الاردن (الجزء الثاني)	السيد اديب وهبة	١٨ منه
الحياة السعيدة (اخلاق)	« انيس سلوم للسيدات	١٨ منه
عهد بني ايوب في الشام (تاريخ)	« محمد كرد علي	٢٤ منه
درس في التعليم والتأدب (اخلاق وتربية)	الشيخ احمد النويلاتي للسيدات	٢٥ منه
عثرات الاقلام (ادب ولغة)	« عبد القادر المغربي	١ شباط

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

« عنوان المحاضرة »	« اسم المحاضر »	« تاريخ القاء المحاضرة »
البنت في البيت والمدرسة والعالم (اخلاق واجتماع)	السيد عيسى اسكندر المعلوف (للسيدات)	١ منه
في الاخلاق والآداب (ادب)	الشيخ عبد القادر المغربي (للسيدات)	٧ منه
التعاون والتحاب (اجتماع)	« « «	١٤ منه
مزايا الشعر الاندلسي (ادب)	السيد عيسى اسكندر المعلوف	٢٢ منه
الحياة الاجتماعية (اخلاق)	« انيس سلوم (للسيدات)	١٥ منه
تتمة محاضرة آثار شرقي الاردن	« أديب وهبة	
دولة المماليك البحرية في الشام (تاريخ)	« محمد كرد علي	١٥ منه
تتمة مزايا الشعر الاندلسي (ادب)	« عيسى اسكندر المعلوف	٢٣ منه
واجبات المرأة في الهيأة الاجتماعية (اجتماع واخلاق)	الشيخ احمد النويلاتي (للسيدات)	»
كلمة في تربية الطفل الاولية (تربية)	السيدة مسرة ادلبي	«
الزوجة في البيت والعالم (اخلاق واجتماع)	السيد عيسى اسكندر المعلوف «	٢٩ منه
محاضرة اجتماعية (اجتماع)	« حنا خباز	»
الصحة والتداوي (ادب)	الشيخ عبد القادر المغربي «	٧ آذار
عهد الشراكسة والمماليك ووقائع التتار القدماء في الشام (تاريخ)	السيد محمد كرد علي (للرجال)	»
عهد تيمورلنك في الشام	« «	١٤ منه
الترتيب (اجتماع)	« انيس سلوم (للسيدات)	»
تسامح الاسلام (اخلاق)	الشيخ احمد النويلاتي «	٢١ منه
كلمة اجتماعية (اجتماع)	كريمة السيد مصباح محرم «	٢١ منه
فنون الشعر الاندلسي كالموشحات والأزجال (ادب)	السيد عيسى اسكندر المعلوف	»

ARCHIVE
http://archivebeta.Sakhrit.com

« عنوان المحاضرة »	« اسم المحاضر »	« تاريخ القاء المحاضرة »
عهد المماليك الشراكسة الى ظهور العثمانيين (تاريخ)	السيد محمد كرد علي	٤ نيسان
الادارة الملكية في الحكومات العربية الاسلامية (حقوق وتاريخ)	« شاكر الحنبلي	١١ منه
كتاب اخبار الحمق والمغفلين (ادب واخلاق)	الشيخ المغربي	١٩ منه
وفي ختام الحفلة قصيدة:	» السيد جميل صدقي الزهاوي	»
عهد الدولة العثمانية في الشام من ٩٢٣ﻫ الى ١٠٠٠ ﻫ (تاريخ)	» محمد كرد علي	٢٤ منه
الشجاعة (اخلاق)	» انيس سلوم	٢ أيار
ديون الدولة العامة (مالية)	» فارس الخوري	١٦ منه
كيفية ارضاع الطفل وتربيته الاولية (تربية وصحة)	السيدة مسرة ادلبي (للسيدات)	٢٣ منه
تاريخ بلاد الشام في القرن الحادي عشر (تاريخ)	السيد محمد كرد علي	»
بشار بن برد (ادب)	الشيخ عبد القادر المغربي	٣٠ منه
قصيدة في عمل بني أمية (اجتماع)	السيد محمد سليمان الاحمد (بدوي الجبل)	»
الام في البيت والمدرسة (تربية)	» عيسى اسكندر المعلوف (للسيدات)	٣٠ منه
عائشة رضي الله عنها (تاريخ واخلاق)	الشيخ احمد النويلاتي (للسيدات)	٦ حزيران
ذم التقليد و البدع (اخلاق)	كريمة السيد شاكر الحنبلي »	»
صفحة اجتماعية (ادب)	الشيخ عبد القادر المبارك	»
تأثير الشعر الاندلسي في الشعر الغربي (ادب)	السيد عيسى اسكندر المعلوف	

« عنوان المحاضرة »	« اسم المحاضر »	« تاريخ القاء المحاضرة »
تتمة ديون الدول العامة (مالية)	السيد فارس الخوري	١٣ حزيران
تأثير الشعر الاندلسي في الشعر الاوربي (ادب)	» عيسى اسكندر المعلوف	٣٠ منه
حقوق المرأة في الاسلام (اجتماع وفقه)	الشيخ عبد القادر المغربي (للسيدات)	»
الاعتدال (اخلاق)	السيد انيس سلوم	٢٧ منه
الشام في القرن الثاني عشر (تاريخ)	» محمد كرد علي	٣ تشرين الاول
اقدم سكان سورية بشهادة الآثار »	» عيسى اسكندر المعلوف	١٧ منه
الغيبة والنميمة (اخلاق)	الشيخ عبد القادر المغربي (للسيدات)	٢٤ منه
خواطر سانح (اجتماع)	الدكتور محجوب ثابت	٢٧ منه
الاخلاق العامة في تطور الامم (اجتماع وتاريخ)	» اسعد الحكيم	١٤ تشرين الثاني
الاخلاق عند العرب »	الشيخ بهجة البيطار (للسيدات)	»
تبدل الحياة البيتية في الشرق الاقصى (اجتماع)	للسيدة اروسين درويك الاميركية تعريب الآنسة ماري عجمي للسيدات	٢١ منه
الاصطياف في ربوع سورية »	السيد عبد الله رعد	٢٨ منه
خذوا اخلاقهم (اي العرب) من امثالهم (اخلاق وادب ولغة)	الشيخ عبد القادر المغربي	١٢ كانون الاول
واجبات المرأة في الهيأة الاجتماعية (اجتماع)	السيدة روز شحفة (للسيدات)	١٩ منه
خطاب حفلة المجمع السنوية وفي ختام الحفلة خطاب للسيد انيس سلوم	السيد محمد كرد علي	٢٦ منه
الحبشية والعربية (ادب)	» عبد الله رعد	
موضوع اقتصادي اخلاقي	الشيخ خالد النقشبندي (للسيدات)	

* * *

— « سنة ١٩٢٥ » —

« عنوان المحاضرة »	« اسم المحاضر »	« تاريخ القاء المحاضرة »
الجامعة السورية وكلية الالآهيات (اجتماع)	الشيخ بهجة البيطار	٩ كانون الثاني
ظاهر العمر واحمد باشا الجزار (تاريخ)	السيد محمد كرد علي	١٦ منه
حوادث أوائل القرن الثاني عشر »	» »	٢٣ منه
وقائع الجزار »	» »	٣٠ منه
عهد ابراهيم باشا المصري »	» »	٦ شباط
الحالة الاجتماعية في الشام من خروج المصريين الى سنة ١٣٠٠ (تاريخ)	» »	١٣ منه
كيف تطيب الحياة الزوجية (اجتماع)	السيدة مسرة ادلبي (للسيدات)	٢٧ منه
المرأة وواجباتها الوطنية والزوجية »	» سارة خطيب »	١٣ آذار
التجارة القديمة عند الامم (تاريخ)	السيد عيسى اسكندر المعلوف	٢٠ منه
الفنون الجميلة (تاريخ وادب)	» محمد كرد علي	٣ نيسان
امثال العرب (ادب ولغة)	الشيخ عبد القادر المغربي	٦ منه
اسباب الفقر وعلاجه (اقتصاد واخلاق)	السيد انيس سلوم	٩ منه
تتمة اسباب الفقر وعلاجه	» »	١٧ منه
مناظرة عالمين في مجلس المأمون (تاريخ وعقائد)	الشيخ عبد القادر المغربي	٢٨ منه
درس اقتصادي (اقتصاد)	السيدة روز شحفة (للسيدات)	٠٠
بلاغة الجاحظ (ادب)	الشيخ عبد القادر المغربي	٨ أيار
اخلاق المرأة (اخلاق واجتماع)	السيدة مسرة ادلبي (للسيدات)	١٥ منه
الجيوش البرية والبحرية (ادب وتاريخ)	السيد محمد كرد علي	٢٢ منه
موضوع اقتصادي (اقتصاد)	السيدة سارة خطيب (للسيدات)	٢٩ منه
صناعة الانتقاد عند العرب (ادب)	السيد عيسى اسكندر المعلوف	٥ حزيران
سياحة الى بغداد (رحلة)	» »	١٩ منه
شعراء الشام في القرن الثالث (ادب)	» خليل مردم بك	٢٤ منه

« عنوان المحاضرة »	« اسم المحاضر »	« تاريخ القاء المحاضرة »
آلات الطب والجراحة والكحالة عند العرب (طب)	الدكتور احمد عيسى	

—« سنة ١٩٢٦ »—

— فترة في المحاضرات بمناسبة الثورة الاخيرة —

سهل بن هارون في عهد الرشيد والمأمون (ادب)	السيد محمد كرد علي	٣ كانون الاول
تاريخ الزراعة في بلاد العالم العربي	الامير مصطفى الشهابي	١٧ منه
اليابان هل يعرفها العرب وبماذا كانوا يسمونها (جغرافية وتاريخ)	الشيخ عبد القادر المغربي	٣١ منه

—« سنة ١٩٢٧ »—

جزائر اليابان أهي واق الواق (تاريخ وجغرافية)	الشيخ عبد القادر المغربي	١٤ كانون الثاني
كلمة عن اناتول فرانس (ادب)	السيد شفيق جبري	٢١ منه
ابو حيان التوحيدي	« محمد كرد علي	١٨ شباط
الزواج الشرعي (فقه واجتماع)	« محمد علي ظبيان (للسيدات)	٢٥ منه
« «	« «	(للرجال)
بحث في اسفار التوحيدي (ادب)	« محمد كرد علي	
البلاغة سبيل الوزارة وعمرو بن مسعدة وعصره الزاهي (ادب)	« «	١١ آذار
رحلة الى حلب والشام منذ مئتي عام (تاريخ وادب ونقد)	الشيخ عبد القادر المغربي	١٨ منه
الكتب والمكاتب في الشام »	السيد محمد كرد علي	
فضل علماء المشرقيات على الحضارة العربية »	»	٢٥ آذار
تركة السلف وتفريط الخلف (تاريخ) »	»	٨ نيسان

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

« عنوان المحاضرة »	« اسم المحاضر »	« تاريخ القاء المحاضرة »
عمر بن عبد العزيز (تاريخ واجتماع)	السيد عارف النكدي	٢٢ نيسان
تتمة محاضرة عمر بن عبد العزيز	» عارف النكدي	١٣ أيار
موضوع اخلاقي ادبي (ادب)	السيدة خيرية ترپس (للسيدات)	٣١ منه
حمانا الله من الجهل (اجتماع)	الشيخ عبد القادر المغربي	٢٣ حزيران
درس في الهجرة النبوية (تاريخ واخلاق)	» »	٣ تموز
الطب العربي في الشام (تاريخ)	الدكتور اسعد الحكيم	٧ تشرين الاول
السوربون في البرازيل (تاريخ واقتصاد)	السيد موسى كريم	١٩ منه
الاوقاف وماضيها ومستقبلها (اجتماع وتاريخ)	» محمد كرد علي	٢٨ منه
المرأة العراقية (اخلاق)	» جميل بيهم	١١ تشرين الثاني
محاضرة في اللغة (ادب)	الشيخ ابراهيم المنذر	١٨ منه
أديرة الشام وكنائسها (تاريخ وادب)	السيد محمد كرد علي	٢٦ منه
حياة اللغة العربية (ادب)	الدكتور مرشد خاطر	٢ كانون الاول
كيف يستفاد من التاريخ بمناسبة أديار الشام (ادب وتاريخ)	السيد محمد كرد علي	٩ منه
ابن خلدون في المدرسة العادلية الكبرى (تاريخ وادب واجتماع)	الشيخ عبد القادر المغربي	١٦ منه
تتمة ابن خلدون في المدرسة العادلية الكبرى	» »	٢٣ منه

—« سنة ١٩٢٨ »—

بحيرة سانا او معضلة النيل (تاريخ)	السيد عبد الله رعد	١ كانون الثاني
تقرير باعمال المجمع العلمي العربي خلال السنين الثلاث الماضية	» محمد كرد علي	١٣ منه

« عنوان المحاضرة »	« اسم المحاضر »	« تاريخ القاء المحاضرة »
تعاليم العلامة الشيخ طاهر الجزائري وحياته وعبقريته (ادب وتاريخ)	السيد محمد كرد علي	٢٠ كانون الثاني
حياة العلامة الشيخ طاهر الجزائري العلمية وآثاره ومؤلفاته (ادب وتاريخ)	»	٢٦ منه
أهم ادوائنا الاقتصادية (اقتصاد)	الامير مصطفى الشهابي	٣ شباط
شاعر النيل حافظ ابراهيم وشعره الاجتماعي (ادب)	السيد محمد كرد علي	١٠ منه
حياة الالفاظ »	» شفيق جبري	١٧ منه
دمشق في المرآتين (تاريخ وادب)	الشيخ عبد القادر المغربي	٢٤ منه
تتمة دمشق في المرآتين	»	٣ آذار
بين دمشق وطهران (رحلة ووصف الشعوب)	السيد فخري البارودي	٩ منه
تتمة بين دمشق وطهران	»	١٦ منه
محاضرة طبية في الحصاة (طب وتاريخ)	الدكتور يوسف عرقتنجي	٦ نيسان
مناظرة العلماء في مجالس الخلفاء والامراء (علم وتاريخ وادب)	الشيخ عبد القادر المغربي	١٣ منه
امثال العرب مرآة اخلاقهم (لغة وادب) »	»	٢٠ منه
علم الروحانيات الحديث (فلسفة وعلم الروح) »	مأمون الارزنجاني	١١ أيار
مضار الخمور (ادب واجتماع)	الشيخ عبد القادر المغربي للسيدات	٢١ حزيران
بين الشرق والغرب (وصف الشعوب)	السيد محمد كرد علي	٢٦ تشرين الاول
الفرق بين التربيتين الشرقية والغربية »	» (للسيدات)	٣ تشرين الثاني
وليمة ابن واسانة (تاريخ وادب)	الشيخ عبد القادر المغربي	»
تتمة وليمة ابن واسانة »	»	٩ منه
المرأة في أمثال العرب »	» (للسيدات)	٩ منه
أهم ادوائنا الاقتصادية (اقتصاد)	الامير مصطفى الشهابي	١٥ منه

« عنوان المحاضرة »	« اسم المحاضر »	« تاريخ القائها المحاضرة »
جوامعنا ومساجدنا (تاريخ)	السيد محمد كرد علي	٣٠ تشرين الثاني
مدارسنا القديمة والحديثة «	« «	٧ كانون الاول
عبد الحميد الكاتب (ادب)	« «	١٤ منه
تحليل حياة عبد الحميد الكاتب من رسائله (ادب)	« «	٢١ منه

—« سنة ١٩٢٩ »—

« عنوان المحاضرة »	« اسم المحاضر »	« تاريخ القائها المحاضرة »
حديث أم زرع (ادب ولغة)	الشيخ عبد القادر المغربي	١١ كانون الثاني
عادات الحضر والبدو (اجتماع)	السيد محمد كرد علي	٢٥ منه
شعوب سورية وآثارها القديمة (تاريخ)	الامير جعفر الحسني	٩ شباط
ماجد من الصناعات الوطنية (اقتصاد)	الامير مصطفى الشهابي	٢٢ منه
الاندلس عبرة وذكرى (تاريخ)	السيد عارف النكدي	٣ آذار
تتمة الاندلس ... «	« «	٢٢ منه
الفتوة والفتيان (تاريخ واجتماع)	الشيخ عبد القادر المغربي	١٩ نيسان
فتيان العصور الوسطى «	« «	٣ أيار
التبغ وحصره واستيفاء رسومه (اقتصاد)	الامير مصطفى الشهابي	٣١ منه
أم تسود وأمم تبيد (تاريخ)	السيد نقولا حداد	١٠ حزيران
الاسلام والسودان الغربي والاوسط (تاريخ)	السيد عمر كحالة	٢٠ منه
الرازي وعيده الألفي (تاريخ وطب)	الدكتور حريز	٩ تشرين الاول
أسامة بن منقذ (تاريخ)	الشيخ طاهر النعساني	١٧ منه
منافع الخمور ومضارها (صحة واجتماع)	الدكتور اسعد الحكيم	٢٥ منه
الكتب والتأليف في الاسلام (اجتماع وتاريخ)	الشيخ عبد القادر المغربي	٨ تشرين الثاني
تربية الطفل (تربية)	السيدة عزيزة الحشيمي (للسيدات)	٢٢ منه
موضوع ادبي (ادب)	الشيخ عبد القادر المغربي	٤ كانون الاول

ARCHIVE

« عنوان المحاضرة »	« اسم المحاضر »	« تاريخ القاء المحاضرة »
ملوك الطوائف في الاندلس (تاريخ)	السيد عارف النكدي	٢٣ كانون الاول
—« سنة ١٩٣٠ »—		
الاخبار والاخباريون في الاسلام (ادب وتاريخ)	الشيخ عبد القادر المغربي	١٤ كانون الثاني
الشعر الخالد والمجد التالد (ادب)	الشيخ عبد القادر المبارك	٧ شباط
رحلة الى دير الزور والجزيرة (اقتصاد)	الامير مصطفى الشهابي	٢١ آذار
مضار المسكرات النفسية والاجتماعية (صحة)	الدكتور اسعد الحكيم	
باب الجابية (تاريخ)	الشيخ عبد القادر المغربي	٤ نيسان
تتمة باب الجابية 〃	〃 〃	١٩ منه
الولايات المتحدة الاوربية (اجتماع)	السيد عارف النكدي	٢ أيار
القضاء عند عرب البادية 〃	〃 عبد الله رعد	٢٣ منه
المقارنة بين المعري والخيام (ادب)	〃 احمد حامد الصراف	٦ حزيران
الشرع الدولي في الاسلام (تاريخ واجتماع)	السيد نجيب الارمنازي	١٣ منه
حقائق علمية عن المرأة (اجتماع)	〃 عمر كحالة	٢٠ منه
اللغة العربية وذخائرها الادبية قديماً وحديثاً (ادب)	السيد خليل مطران	١٨ ايلول
فورونوف والمجتمع البشري (صحة)	الدكتور مرشد خاطر	٧ تشرين الاول
أهم موارد الثروة في بلاد الشام (اقتصاد)	الامير مصطفى الشهابي	٢١ تشرين الثاني
تحت القلعة (تاريخ)	الشيخ عبد القادر المغربي	٥ كانون الاول
تتمة تحت القلعة 〃	〃 〃	٢٦ منه

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

آراء المفكرين

— في المجمع العلمي —

—«*»—

قال الاستاذ بونور مستشار المعارف في المفوضية العليا من خطاب له ألقاه في الجامعة السورية : أنشئت في دمشق الى جانب مدارسها العالية مدرستان أجيء على ذكرهما باختصار ، فالأخيرة منهما هي مدرسة الأدب العليا التي ولدت فكرة انشائها في المجمع العلمي العربي هذا الحارس الأمين على تقاليد اللغة ، هذا الوصي العالم الساهر على ابقاء وسائط التعبير الخاصة بالشعب العربي · يقول رئيس المجمع العلمي اللوذعي قولاً بعيد النظر في تقريره الرابع عن أعمال المجمع في السنوات الخامسة والعشرين والسادسة والعشرين والسابعة والعشرين بعد التسعمائة والالف وكان من أعظم أماني المجمع في السنين الخالية انشاء كلية للآداب ٠٠٠ وذلك لعلمه باحتياج الآداب العربية الى ان تتخرج فيها طبقة مختارة تحسن الكتابة والخطابة بلغتها وتسير في التأليف والترجمة وتعاطي الامور العلمية وادارة الاعمال على النظام الغربي وقد قيض لطالب هذه الأمنية ان يحققها بنفسه · فالى رئيس المجمع العلمي هذا العالم العامل والمؤرخ السوري الطائر الصيت يعود الفضل في انشاء مدرسة الادب العليا وهذه المدرسة التي نشأت في أحضان المجمع العلمي وضمت الى الجامعة السورية ، ستلقن طلابها آداب اللغة وتهذيب الانشاء ونقاوة التعبير متبعة خطة المجمع الذي أنشأها ، غير انها ستكون ايضاً أداة للثقافة العقلية العامة ورابطة تربط بها أعمالها بتطور الأخلاق والذوق والفكر البشري لانها لهذه الغاية أنشئت ايضاً ، وقد بدأت هذه المدرسة صغيرة وسترتقي سلم التقدم درجة درجة حتى تستحق اخيراً ان تسمى معهد الادب العالي · ولست أشك ابداً ان هذا المعهد الحديث

المهد ستكون بفضل أساتذتهـا الدائبي الصيت اللامعين خير خلف لمدارس البصرة والكوفة التي جعلت القواعد العربية درساً من أدق الدروس وأكلها .

جاء في مجلة المقتطف : للمجمع العلمي العربي فضل على الناطقين بالضاد لا تزيده الايام الا ذيوعاً ، وقد عودنا اعضاؤه الأفاضل الجد والمثابرة على إحياء الآثار الادبية قديمها وحديثها وبعث الشخصيات العربية البكرة من مرقدها بعد ان جر عليها الزمن ثوب النسيان .

وقالت جريدة العهد الجديد من مقالة : أهدى الينـا الاستاذ العلامة محمدافندي كرد علي نسخة من التقرير الرابع باعمال المجمع العلمي العربي الذي يرأسه في حاضرة بلاد الشـام ، ونحن قبل كل شيء من المعجبين بالفكرة الجليلة التي حملت الحكومة السورية العربية على التفكير بانشاء المجمع المذكور لما يمكن ان يؤديه من الخدم المشكورة لفائدة اللغة وآدابها وتاريخ بلاد الشام قبل كل شيء آخر . واذا كنا لا نطمع بان يكون المجمع المذكور صورة عن المجامع المعروفة في اوربا فلان العناصر القوية التي أساغت العلوم والفنون على أنواعهـا وهضمتها لا تزال صورية فقيرة بها فقراً يبدو ظاهراً للعيان ويحول دون طمعنا بان يكون مجمعنا قائماً بالغـاية التي توجد لها المجامع عادة ، ولكن هذا كله لا يمنعنا عن التهليل لهذا العمل الذي يعدّ نواة صـالحة اذا تعهدتها الأيدي بالعناية اللازمة وتوفرت لها العناصر التي تغذيها وتمدها بالوسائل أثمرت ثمرها المرجو . ذلك هو رأينا في المجمع العلمي فنحن ننظر اليه من ناحيته المشرقة النيرة غير ناسين ما يقف في طريقه من عثرات وعراقيل نرجو ان تزول ، واذا نحن قايسنا الأعمال الأولية التي قام بها المجمع والتي تدعو الى الشكر والإعجاب بالمجهود الطيب المبذول لنموه وازدياده ، الفينا انه سائر في الطريق الذي شرع له ، وانه لابد بالغ الغـاية المتوخاة من تأسيسه ، واذا شكرنا القـائمين بهذا العمل المشكور ، فالشكر عام يتوزعه الاعضاء كل حسب مجهوده واثره فيه .

الجاحظ (١)

— تمهيد —

—*—

هل عليّ من حرج وقد قطعنا السنة الاولى واستقبلنا السنة الثانية بأحسن ما نستقبل به دراسة فنّ يروّض العقل ويهذّب العاطفة ويصفّي الذوق ويرقّق الشعور . هل عليّ من حرج ان فكرت في نتائج اول عمل نبت في أفياء مدرستنا هذه قبل ان أشرع في العمل الثاني وهو الكلام على الجاحظ .

لقد فرغت من كتابي (المتنبي) ودفعته الى الجمهور وربما لم يخطر ببالي طبعه وانما طبعته عرَضاً على غير عزم فلما أهديته الى طائفة من الاخوان وأهل الفضل في الشام ولبنان وفلسطين ومصر والعراق والحجاز لم يقع في خلدي أن أتوقع الآثار التي تركها في آفاق الأدباء سواء أكانت هذه الآثار حسنة أم كانت غير حسنة ، اما الزبد فيذهب جفاء واما ما ينفع الناس فيمكث في الارض .

ولكني لم أتخلص من النظر في هذه الآثار ولست ارى حاجة الى إزعاجكم بالكلام الذي تكلّمه الفضلاء على هذا الكتاب وانما أحب ان أشير الى هذا الكلام إشارة لانه يفصح عن روح العصر فقد أجمع الذين عرضوا على التمييز كتابي على انه قد أدخل على الأدب اساليب حديثة .

لا يسعني في مثل هذا المقام الا ان أشكر لهذا الفريق المستنير حسن ظنه وجميل اعتقاده ، فلئن دلت شهادته على مبلغ فضله فلقد دلّت على مبلغ كرم أخلاقه .

(١) سلسلة محاضرات الاستاذ السيد شفيق جبري احد اعضاء المجمع العلمي العربي التي شرع في المحاضرة بها في كلية الأدب في دمشق من تشرين الثاني سنة ١٩٣٠ .

الحاجة الى الأساليب الحديثة في الأدب مشتدة في عصرنا هذا فكأنما الأسماع قد مجّت ما تردّد من سنين طويلة وكأنما القلوب قد لفظت ما تمضغ .

على اننا لو نظرنا في أدب العرب لتبين لنا ان النفوس في كل عصر من عصور هذا الأدب كانت تتطلع الى الاساليب الجديدة سواء أكانت هذه الأساليب في اللغة نفسها ام في الشعر ام في النقد الادبي ام في الانشاء ام في غير ذلك من مذاهب الفن فاللغة ذاتها لم تكن الا سلسلة تنتقل حلقاتها في كل عصر من العصور من شكل الى شكل وكذلك الشعر والنقد واضرابها ، وقد يطول بنا الكلام على هذه الأطوار كلها وانما أضرب لكم أمثالاً يسيرة على سبيل التوضيح .

فلننتقل الى العصر الجاهلي ، كانوا يقولون : أسيلة الخد ، حتى قال امرؤ القيس : أسيلة مجرى الدمع ، وكانوا يقولون : تامة القامة وطويلة القامة واشباه هذا وجيداء وتامة العنق حتى قال : بعيدة مهوى القرط . وكانوا يقولون في الفرس السابق يلحق الغزال ، يسبق الظلام وامثال هذا حتى قال : بمنجرد قيد الاوابد هيكل .

من هذا يتبين لكم ولو على سبيل الايجاز ان العصر الجاهلي لم يخل من المجددين .

واذا انحدرنا الى صدر الاسلام تحقق عندنا ان النفوس قد تشوّفت الى أسلوب حديث في الشعر غير الأسلوب الذي كان يتبعه شعراء الجاهلية وهذا التشوف يدلنا عن طور جديد فلما أنشد جرير قول عمر بن ابي ربيعة :

سائلا الربع بالبلي وقولا هجت شوقاً لي الغداة طويلا
اين حي حلوك اذ انت محفوف بهم آهل اراك جميلا
قال ساروا فأمعنوا فاستقلوا وبرغمي لو استطعت رحيلا
سئمونا وما سئمنا مقاماً واحبوا دماثة وسهولا

قال : ان هذا الذي كنا ندور عليه فأخطأناه وأصابه هذا القرشي . فجرير وامثاله كانوا يريدون ان يسمعوا اشياء لم تعودها اسماعهم .

ولم يخل العصر العباسي من المجددين ومن الراغبين في التجديد ، ولما سئل الاصمعي عن بشار ومروان بن ابي حفصة ايهما أشعر ، قال : بشار ، فسئل عن السبب في ذلك فقال : لان مروان سلك طريقاً كثر من يسلكه فلم يلحق بمن تقدمه وشركه فيه من كان

في عصره ، و بشار سلك طريقاً لم يسلك وأحسن فيه وتفرّد به وهو اكثر تصرفاً وفنون شعر وأغزر وأوسع بديعاً ، ومروان لم يجاوز مذهب الاوائل ٠

فرأي الاصمعي في بشار يشبه رأي جرير في عمر بن ابي ربيعة فالنفوس قد ازداد تطلعها الى نواح جديدة في الشعر ٠

وكان ابو العباس الناشي يقول : كان بقي من الشعر زاوية دخلها المتنبي ٠

هذه أمثـال قليلة يتجلى لكم من ذكرها ميل النفوس في كل عصر من العصور الى التجديد وليست غايتي ان أتكلم على طبيعة هذا التجـديد وعلى عوامله وانما الغاية كما قلت لكم ضرب الامثال حتى تعلموا ان عصورنا الادبية لم تخل من طوابع التجديد ٠ فلسنا نعجب من ان يكون روح عصرنا هذا مطبوعاً باشباه هذه الطوابع ٠

وكما كان الشعر ينتقل في كل عصر من العصور من طور الى طور فكذلك اللغة فانها لم تثبت على حال من احوالها لا في جاهليتها ولا في اسلاميتها ولا في عباسيتها ٠ فلنضرب مثلاً لذلك ، في الجاهليـة اسماء أطلقت على مسميات ثم ماتت هذه الاسماء وولدت بعدها اسماء غيرها حدثت على ماقبلها ، من هذا القبيل ماقاله صاحب الجمهرة[1] :

اسماء الايام في الجاهلية : السبت شِيار ، والاحد اوّل ، والاثنين أهون وأوهد ، والثلاثاء جُبار ، والاربعاء دُبار ، والخميس مؤنس ، والجُـمُعة عَرُوبة ٠

واسماء الشهور في الجاهليـة : المؤتمر وهو المحرّم وصفر وهو ناجر وربيع الاول وهو خُوّان وربيع الآخر وهو وُبصان وجمادى الاولى الحَنين وجمادى الآخرة رُبّى ورجب الأصم وشعبان عاذِل ورمضان ناتِق وشوال وَعْل وذوالقعدة وَرْنة وذوالحجة بُرَك ٠

هـذا مثل الاسماء التي عاشت ثم ماتت فلنضرب مثلاً للاسماء التي كانت تدل على معنى خاص في عصر من العصور ثم جاء عصر فنقلها عن معناها الاول الى معنى آخر من هذا القبيل ما قاله ابن فارس في فقه اللغة[2] :

كانت العرب في جاهليتها على ارث من ارث آبائهم في لغاتهم وآدابهم ونسائكهم

---

(١) المزهر : الجزء الاول الصفحة ١٠٨ ٠

(٢) المزهر : الجزء الاول الصفحة ١٤١ ٠

وقرابينهم ، فلما جاء الله تعالى بالاسلام حالت احوال ونسخت ديانات وابطلت امور ونقلت من اللغة الفاظ عن مواضع الى مواضع أخر بزيادات زيدت وشرائع شرعت وشرائط شرطت فعفى الآخر الاول ، فكان مما جاء في الاسلام ذكر المؤمن والمسلم والكافر والمنافق وان العرب انما عرفت المؤمن من الأمان والايمان وهو التصديق ثم زادت الشريعة شرائط واوصافاً بها سمي المؤمن بالاطلاق مؤمناً ، وكذلك الاسلام والمسلم انما عرفت منه اسلام الشيء ، ثم جاء في الشرع من اوصافه ما جاء ، وكذلك كانت لا تعرف من الكفر الا الغطاء والستر ، فاما المنافق فاسم جاء به الاسلام لقوم ابطنوا غير ما اظهروه وكان الاصل من نافقاء اليربوع ، ولم يعرفوا في الفسق الا قولهم فسقت الرُّطَبة اذا خرجت من قشرها ، وجاء الشرع بان الفسق الافحاش في الخروج عن طاعة الله تعالى .

والشواهد على الالفاظ الاسلامية كثيرة فمن شاء التوسع في معرفتها فليرجع الى كتب اللغة .

فأنت تدرك كون من هذا ان اللغة سواء أفي الجاهلية ام في الاسلام كانت تنبسط من طور الى طور ، ولو خلصتم الى العصر العباسي لأحطتم علماً بمقادير الألفاظ التي نبتت على جذع اللغة العربية ولم تكن من قبل على هذا الجذع .

اذا عرضنا اللغة في اي عصر من عصورها وجدنا انها يتنازعها حزبان من ابنائها : حزب يحاول ابقاءها على حالتها وحزب يذهب بها مذهباً جديداً .

فالطائفة التي تحرص على ابقاء اللغة في حالة ثابتة دون شيء من التبديل والتغيير تحتج بجميع شيء منها : تملقهـا بمذاهب حضارتها وحرصها على تقاليدها واعتنـاؤها بتلفظ اولادها ورغبتها الغريزية في ان يكون لها لغة مصطفاة ثم اذا تعمقنا في البحث عن الاسباب التي من اجلها يحافظ المحافظون على لغتهم وجدنا ان لكتب الدين تأثيراً عظيماً كالتوراة والقرآن واذا جاوزنا هذه الناحية الى ناحية أبعد تجلت لنا شدة استمساك المحافظين بلغتهم بسبب الكتب الأدبية التي اولعوا بهـا لجمالها وحسنها فهذه هي اعظم الاسباب التي تدفع المحافظين الى التمسك بمحافظتهم فهم يريدون صفاء اللغة وقد تجمع هذه الاسباب كلها كلمة واحدة وهي ثقافة الفكر .

والحزب الآخر اي الحزب الذي يذهب باللغـات مذهباً جديداً فانه يتوسل الى ذلك بثلاث وسائل : اما بقلب اللفظ واما بقلب الصرف والنحو واما بقلب المفردات ، في

لا أشغلكم بالبحث عن تغيير اللفظ وتغيير الصرف والنحو وانما اذكر لكم قلب المفردات فان الامة تكتسب كل يوم اموراً وافكاراً حديثة وانماطاً في الحس والفهم جديدة فلا بدّ لها من اسماء جديدة لمسميات جديدة ، وهذه الاسماء تؤدي في الاغلب الى انقراض كلمات لان الافكار الحديثة والألفاظ الدالة عليها تعفّي على آثار الألفاظ القديمة [1] .

وعلى ذكر الأسماء الجديدة التي تحتاج اليها الامة لاطلاقها على المسميات الجديدة رأيت ان أعرب لكم مقالاً وقع عليه نظري في جريدة الطان من سنين وهذا هو المقال :

اذا طرحتك النوى مطارحها فكتب لك ان تزور باريز استطعت ان تذوق حلاوة الدنيا وتشعر بنضارة الحياة ، ومن محاسن باريز الفتيات العاملات اللواتي ينصرفن في الصباح الى العمل انصراف النحل الى اجتناء الزهر ثم يفرغن من عملهن فيلهون ولا لهو المنادل على ملتف الأغصان . أطلق الفرنسيون على هذه الفتيات اسم (Midinettes) فالاسم مشتق من كلمة (Midi) ومعناها الظهيرة لانهن ينفلتن في الظهيرة كما تفلت الطيور من الأقفاص فيخرجن من المخازن والمعامل فيسرحن كما يسرح سرب المها ، فاذا سمعت أحاديثهن على الطريق لكأنك قد سمعت دويّ النحل فتراهن ذاهبات من الاوبرا الى ساحة (الفاندوم) ومن (المادلين) الى (الشانزاليزه) وترى الشوارع والمطاعم والمقاهي والملاهي مكتظة بهن. فاذا رأيتهن رأيت الألوان على مختلفها وعرفت كيف تكون الابتسامات على الثغور وكيف تكون القبلات في الخواطر ، شعر قصير وشباب ناعم وقامة رشيقة وخلقة فتانة ، فهن نضارة باريز وغضارتها ولولاهن لما كان لباريز رونق وبهجة فكلمة (Midinette) العذبة ترد بطبيعتها على شق القلم وطرف اللسان ، ادمجها كبار الكتاب في رواياتهم فتأصلت في اللغة الا انها عرضت يوم الخميس الماضي على قاعة باريز الفتانة اي على الاكاديمية الفرنسية وليدة (ريشوليو) وكان لها امل ان تحتفي بها الاكاديمية لعذوبتها ونعومة صباها ولكن الاكاديمية لم تمهد لها سبيلاً في معجمها فقطبت في وجهها واطرحتها .

وقد أسف صاحب المقال الأسف كله على اطراح هذه الكلمة مبيناً انه ليس من

(1) رأي الاستاذ (دارمستتر) صاحب كتاب حياة الألفاظ .

شأن الاكاديمية قلب الألفاظ المصطلح عليهـا واحتقارها ، وانما مهمتها المحافظة على المصطلحات الكثيرة الدلالة . وقد أضاف الكاتب الى كلامه : ان من الواجب الاقتداء بالرب وموليير في المسامحة والاستئناس بالمصطلحات المستفيضة في طبقات الشعب ثم ختم مقاله بما يلي :

« اللغة التي لا يزيد غناها قليلاً في كل يوم تفقر وتنضب وقد كان كتابنا في عصر التجديد لايجهلون ذلك فكانوا يفتشون عن أسلوب فيه حياة وخفة وله طعم ولون ويقتبسون استعاراتهم عن مصطلحات الصيادين وعن كلام امراء البحر وتعابير اصحاب المطابع فكانوا يجدون انه من الضروري ان ينشأ على الجذع اللغوي القديم طعم على شرط ان يكون هذا الطعم سهلاً دالاً على شيء قد ولده الاصطلاح ، فلِمَ لا نحو نحوهم ؟

هذه حجج المحافظين والمجددين فلننظر في اعمال الحزبين فاذا عمل حزب من الحزبين عمله على حدة وأعرض عن الحزب الآخر فما ذا يحدث .

اذا انحصرت اللغة في ناحية واحدة سكنت حركتها ونضب معينها ولا ريب في ان الشعوب التي لبس لحضارتها تبديل تستطيع ان تحافظ على لغتها على وجه الدهر من دون ان يمس هذه اللغة شيء فاذا كان الفكر ثابتاً لا يتغير فاللفظ الذي يدل على هذا الفكر يثبت ولا يتغير ولكن اذا بلغ الحرص على التقاليد مبلغاً يمنع اللغة عن تتبع مذاهب الافكار والمعاني واستحكم التناقض بين افكار الامة وبين القوالب التي تفرغ فيها هذه الافكار تندث مادة اللغة فتكلّ وتهلك ، واليكم مثلاً شهيراً في اللغة اللاتينية المدرسية اي لغة الكتاب الرومانيين وطبقات الناس العالية فان هذه اللغة امتنعت عن تتبع اللغـة العامية في نموها وتشددت في المحافظة على أسلوب مقدس ، وفي آخر الامبراطورية هلكت وتركت المجال للغة العامية الحية القوية التي انفجرت من ينابيعها لغات شتى ولهجات مختلفة مستعدة للاستيلاء على الميراث الذي خلفته اللغة الفصحى .

واذا عمل الحزب الذي يذهب باللغـة مذهباً جديداً عمله على حدة دون الاستعانة بمذهب المحافظين فان اللغة تقذف يومئذ مقاذف مختلفة فتتحول سريعاً فترة تتعاقب عليها عدة بطون فتصل الى حالة كثيراً ما تختلف عن الحالة السالفة حتى تكاد تكون لغـة جديدة وأحياناً تتشعب الى طائفة من اللغات وهذه اللغـات تتشعب ايضاً الى ما لا حد

ARCHIVE

له فقد قيل ان في جملة اللغات المتوحشة بطناً من الناس يشهد لغات تولد ثم تموت لتولد على شكل آخر الا ان هذا التغيير المستمر قد جاوز الحد حتى أصبح مخالفاً لاغراض اللغة وغايتها وأضاع على اللغة قسماً من فائدتها ومنفعتها طالما ان في بعض لغات المتوحشين لا يفهم الشيوخ معاني كلام الأحداث فان في هذا الامر شيئاً غير طبيعي يشبه في علم اللغات عجائب المخلوقات في علم التاريخ الطبيعي . ثم ما هو السبب في هذا التطور الذي لا نهاية له ، ان هو جهل المتوحشين الذين يتكلمون بهذه اللغات وضعف عقولهم لان اللغة تتأيد بالحضارة[1] .

بسطت لكم على سبيل الايجاز امثالاً تستدلون بها على اليسير من أطوار اللغة والشعر ومنها يتضح لكم ان الاسلام جاء بالفاظ لا عهد للجاهلية بها وان الشعر كان يصبغ بصباغ خاص على حسب ما يقتضيه روح العصر فلم يخل عصر من عصورنا من آثار التجديد فان للطبيعة وللاجتماع عوامل لا مندوحة لها من ان تعمل في الأدب ومادته واذا كان للانقلاب الطبيعي والتناحر على الحياة آثار في عالم المخلوقات الحية فان عالم الافكار وصورها لا يستطيع ان ينسلخ عن هذه الآثار فلسنا نعجب اذا قلت لكم من ان يكون التجديد انما هو روح العصر فقد وصلت الينا آثار لغات الغرب ووقفنا على هذه الآثار وقابلنا بين اساليب البحث في ادبنا وبين اساليب البحث في ادب الغرب فأدركنا نقصنا وحملنا على تتميم هذا النقص طالما انا قدرنا على الكمال ليس في هذا غضاضة علينا فان أدبنا بفضل الاساليب الحديثة في البحث والتنقيب سينكشف لنا الغطاء عن كثير من محاسنه فنتذوق منها ما لم نذق وانما الشأن في مجامع هذه الامور ان نحافظ على روح لغتنا وعلى عبقريتها وأريد بهذه المحافظة ان نكون العربية لغتنا في بحثنا وتنقيبنا دون ان تفسدها العجمة ، فكان الجاحظ من المولعين بالتجديد ، أحافظ في صور الكلام على عبقرية اللغة وعلى روحها .

هذا ما نسعى في الوصول الى معرفته في سنتنا هذه .

دمشق : في ٢٩ تشرين الثاني ١٩٣٠

---

(١) رأي الاستاذ (دارمستتر) صاحب كتاب حياة الالفاظ .

اللغة العربية وخزائنها الادبية (١)

« قديماً وحديثاً »

أيها السادة

قد شرفني الجهابذة الأجلاء عماد هذا المجمع العلمي الجليل بادناء مكاني من مكانهم. واين انا من اولئك الذين تملأ الافق انوارهم وتعمر الشرق آثارهم . اين انا منهم لولا نظرة عطف من معالي رئيسهم الجهابذة العلامة الذي بعث في زمنه أشتات مفاخر وطنه ، وقلد العربية قلادة من المنن لا تقوم بثمن ، ولولا حسن استجابة من زملائه الفضلاء لدعائه الكريم في شأن صديقه القديم . فلهم فضل اول بما اولوني من فخر الانتخاب ، أعقبه فضل ثان بما اتاحوا لي اليوم من حظ المثول لدى صفوة من شيوخ تباهي بهم الحاضرة الاموية سائر الحواضر ، ونخبة من الشبان ارى فيهم تباشير صبح جديد لسعادة الدولة السورية ورقيها الحسي والمعنوي الى الغاية التي تجدر ببلوغها أمة عظيمة كهذه الامة الكريمة .

قد سمعتم المعجب والمطرب من ذاك البيـان الخلاّب الرائع الذي خصني به صديقي الاستاذ الكبير الشيخ عبدالقادر المغربي واخذتكم بلا شك في بسطه الجميل قوة فصاحته ، فهل ترك لي ذريعة وانا اتكلم بعده لأكون عندما اقرّ في نفوسكم من حسن الظن بي على انه اذا فاتني فيما ازجيه من البضاعة ان ابلغ ما أراد ابلاغي من عالي رأيكم فلي شفيع لا يخيب في رحابكم ، انى لضيفكم واني لجاركم وانتم خير من اكرم الضيف واعز الجار .

أثيرت في أخريات هـذه السنين حركة محمد مثيروها الى احداث ريب في النفوس من جهة صلاح اللغة العربية الفصحى او كفايتها لمجاراة العصر في مقتضياته حتى الادبية

(١) محاضرة الاستاذ خليل بك مطران احد اعضاء المجمع العلمي العربي القاها في بهو الجامعة السورية في شهر ايلول سنة ١٩٣٠ بمناسبة انتخابه عضواً مؤازراً في المجمع .

منها . ويقيني انه اذا كان هناك قصور فهو منا وليس منها ؛ فلذلك بدا لي أن كلمات القيها من على هذا المنبر في اثبات ما اعتقده اعتقاداً راسخاً من صلاح لغتنا او كفايتها للابانة بسلامة وقوة وجمال عن انواع الاغراض الحديثة وخصوصاً ما يتصل منها بالادب — تكون اخلق بان تسترعي لها اسماعكم . وقد توخيت لهذه الكلمات من طريق موافقتكم عليها — إن فازت بشرف هذه الموافقة — ان تصدر عن ندوتكم هذه درساً يجني منه شبابنا في مختلف الاقطار العربية فائدتين جليلتين : اولاهما ان يعرفوا ما وسائل لغتهم الفصحى وادواتها المتوافرة ومناسج مفاخرها . وثانيتهما ان يتبينوا ما تسومهم الرغبة في معرفتها وإجادتها من المطالعات على ما يحول بينهم وبين استيفائهما في الحالة الراهنة من المشاق التي نرجو ان تقل تدريجياً على يد هذا المجمع الجليل وسائر المعاهد الرسمية وغير الرسمية التي تغار غيرة نحوه في الامم الناطقة بالضاد .

لم تخلق اللغة العربية من اصل جامد فيقضي عليها بالجمود ولم ترسم لها من بدء امرها دائرة ضيقة فيحظر على المجتهدين ان يتعدوها وقد نبه على ذلك أئمة من المتقدمين فقالوا ان اللغة تقع متلاحقة متتابعة ، فهي إذن تنمو بنمو حضارة اهلها وتتسع وتتشعب باتساع حاجاتهم وتشعبها . على انه لا المشاركة في اصول اللغة ايا كانت او في الفروع التي تستنبطها الدهور على تلك الاصول لا يستطاع ، ونفي الأثر الذي تحدثه كل لغة في الاخرى بحكم الجوار او الفتح الحربي او الغلبة السلمية من فكرية واقتصادية لا يستطاع ايضاً . ولكن كل ذلك لا ينبغي ان يغير طابع اللغة ولا ان يعدل ذاتيتها او يمس جوهرها اذا رد الى حدود المقومات التي تفرق بينها وبين سواها كما تختلف الوجوه وتتمايز الشخوص .

تألفت لغتنا العربية في متشئها من لغات تقدمتها ومن مواضعات جمة أعارتها اياها لغات عاصرتها . حسبنا في الدلالة القاطعة عليها ما ورد من الفاظها في أفصح كتاب عربي فهي اي اللغة لم تكن وحياً ولا توقيفاً . كذلك المشاركة في المعاني واتجاهاتها واشتات المذاهب التي يذهبها الكتاب في طرائق ابرازها للناس لتقع مواقعها من نفوسهم تبعاً لاتساع الحضارة وضروب التأنق في العيش وتهيؤ الاذهان حيناً بعد حين لايثار خطة في الانشاء على خطة أخرى لا سبيل للارتياب فيها وحكمها في لغتنا حكمها في كل لغة حميدة او عتيدة .

غير ان هذه المشاركة مهما تعددت مآتيها شيء وذاتية اللغة شيء آخر ·

عناصر الجسم مما تشترك فيه الطبيعة كلها ولكنه بها يصبح جسماً حياً له قوامه الخاص وبها يعيش عيشة تختلف بتفاصيلها عن عيشة كل جسم سواه ·

اذا تقرر هذا فلنسرح الطرف من مشترف عالٍ مارّين بمخلفات الاحقاب مروراً سريعاً لنتبين هل من محل للارتياب في ان اللغة العربية الفصحى تكفي حديثاً كما كفت قديماً لتجاري بأدبها الخاص ادب اية لغة سواها · ولعل أحسن ما يتأتى لنا به حصر هذا البحث وتضييق دائرته على قدر، هو ان يقع التفاهم بيننا على تعريف الاديب، فمن هو الأديب ؟

هو الذي يحسن التعبير بالاصطلاحات المتواضع عليها في كل لغة عما يوحيه اليه عقله او تجيش به نوازعه واهواؤه او يقع عليها حسه، مصوغاً في الفاظ فصيحة، مفرغاً في قالب أصيل خالص، والسر كل السر في احسانه الابانة ان يملك لغته فيصرفها في الأداء تصريف المتضلع منها المستبحر في فنونها، البصير بمفرداتها، الخبير بتراكيبها، المتشبع بروحانيتها — ولكل لغة روحانيتها — الواسم بوسمها كل مادة يجري بها قلمه وكل سانحة صادرة عنه او طارئة عليه، المجدد تبعاً لزمانه ومكانه ما تلقاه عن أئمتها وثقاتها في الصورة التي يدوعها كل زمان وكل مكان · المضيف اليها من ابتكاره اوابتداعه طرائف لا تعتل معها صحة طابعها ولا تمس بها جواهرها ولا مقوماتها ·

فيما قدمناه نظرنا الى الاديب ولم نشرك معه الفيلسوف والرياضي والكيماوي فان المقصود في بحثنا انما هو الاديب المحض لا ننفي عنه أن يضرب بسهام في اشتات العلوم ولا ان يلم بكل فرع وفن مما يستكمل به وسائل التفكير ليتسنى له التعبير عن مختلف الاغراض الحادثة مع لزوم الحد الذي يرسمه الادب اللباب ويتأتى معه حسن النسج ولطف اختيار الاساليب لجلاء المدلولات · فان كان الاديب ماعرفنا وكان الميدان الذي يجول فيه لسانه وقلمه ما وصفنا فقد ثبت بالبداهة ان كل لغة مستكملة الوضع واضحة الأعلام قائمة القوم راسخة القواعد مانعة للشرود والبلبلة صالحة لتكوين الأديب ·

وتكوين الأديب له شرطان : احدهما حصوله على ملكة اللسان وثانيهما وجد انه في لغته من ضروب النماذج مايفتق ذهنه ويمين قريحته على الابتكار ويتيح له مجاراة الفكر

في تحولاته المستمرة ، فني بقيني ان لغتنا العربية الفصحى تكفي كل الكفاية لتكوين الاديب وفي قديمها وحديثها لمن أكب على المطالعة وتوفر على المدارسة مايستطيع به ان يعبر عن ضروب المقاصد مادق منها وماجل ، فان أوجز : فما اجتمع الكثير من المعاني في القليل من الكلام كما اجتمع في مقاطر أقلام الناطقين بالضاد ، وان أسهب : فلينظر كيف جرت الهاجات العذبة من يراع الجهابذة المسهبين جري السلسبيل من الينابيع بلا رنق ولا تفكك ولا انقطاع واي مطلوب لحسن التشبيه وجمال الاستعارة أدنى الى التناول في لغة منه في لغتنا .

واي لغة قديمة اومولدة فيها بذاتها مافي لغتنا من الغناء بالاشتقاق و بابه فيهـا أوسع باب لواجيه عن حصالة واستقامة مجية .

غير ان الأديب بالمعنى الأشرف والأمثل ليس الذي يحـاكي غيره حكاية الصدى و يجري وراء سابقيه جري التطريس بالاقدام ، بل هو الذي يستعين بما بين يديه على الابداء والخلق . شأنه شأن المصور الذي يتوفر على استكشاف خبايا الفن في المقاييس والملاءمات وسائر ماتوصل به المبرزون من متقدميه الى الاتقان المعلم ثم يجيل ريشته في اللوح ليبرز أنواراً وظلالاً ووجوهاً ومناظر على النحو الذي استقبله بتقديره الخاص وآثره بحكم فكره الذاتي ، شأنه كذلك شأن الموسيقي يتقيد بقيود الاصول العامة لصناعته ولكنه يتخير بين آلاف الأجزاء المشتركة في الضروب ما يؤلف منه نغمه الخاص ، نغمه الذي لم يكن فيه ماسحاً صنع غيره أوآخذاً إخذه حذوك النعل بالنعل بل مفتناً مخترعاً .

أنبع لنا في لغتنا العربية مثل أعلى لانظير له فلنتخذه نبراساً لمطالعتنا هذه . العرب في الجاهلية قالوا الشعر فمامتد النفس في جيده الى أطول من المعلقات ، وقالوا النثر فمايوشك المختلف منه ان يملأ صحائف كراس صغير على الشتات بين المعاني والاغراض فلما أراد الله ان يبدي للعالمين آية من آيات قدرته أنزل كتابه المبين كتاباً عربياً .

وم اتخذ مادته ؟ من أدوات تلك اللغه ، لم يخلق معجماً جديداً ولم يقض قضاء على السنن المتعارفة . بل أخرج من مأثور ماألفوه واصطلحوا عليه وتفاهموا به تلك المثاني والمثالث التي حيرت الألباب وملأت النفوس بالعجب العجاب . أنزلها من كلامهم واين منها كلامهم . ألزمها حدود لسانهم ومعانيها وراء كل حد . وهذا هو سر الانشاء وسحر الابداء .

أخرج القرآن المجيد من اللغة العربية الجاهلية ، لغة استقل بها فلم تجار ماقبلها وهيهات ان تتشبه بها محاسن الشعر او عيون النثر في الجاهلية ولم يجارها مابعدها في البلاغة والفصاحة لمكانها من الاعجاز ·

ثم جاءت روائع الحديث معقبة من مكان دانٍ على ماهبط به الوحي ، ونور الوحي منحدر اليها كتحدر شعاع الشمس من قمم الجبال الشماء الى رؤوس الهضاب المتطامنة بجانبها فاتصلت به أسباب التأصيل والتفريع ، واتسعت وتشعبت ذرائع التحويل والتوسيع ·

لغة جديدة تدفقت اليها جداول الفصاحة القديمة من نواحيها المتعددة فاذا الحوض الذي أفضت اليه بحر عذب يهيء الري والغذاء لحدائق الفيحاء التي ازدهى بها الادب العربي وازدهر في ذلك العصر الكبير وفي سائر ماتلاه من العصور ·

من هذه اللغة الجديدة يومئذ استعار الخلفاء الراشدون — وناهيك منهم بالامام علي — جمال بيانهم وجلال تبيينهم · تكلموا بكلام هو من صميم مادة العربية لكنهم جاؤوا بمعان بديعة في صور شائقة غير مسبوقة ·

فكانت هنيهة من الدهر سنوات معدودة تم فيها الانقلاب الاول والتحول الأعظم في لغة الضاد · فاذا رجعت الى الكتاب على رأس مخلفاتها تحرته حق حرائه واذا تقفيت بعده خطب الخلفاء الراشدين وأسفارهم متدبراً أساليبها جد التدبر فما تجد من شيء تريد الكتابة فيه الا وله مثال قل او كثر طال او قصر تسترشد به وتهتدي بهديه فيما انت منه بسبيل · وهناك حصل التصرف العجيب في الحاق معان حديثة بالألفاظ القديمة على مااقتضاه التحول الديني والتصور الطاري في مجالات الحياة · ذلك البيان الذي اجتمعت فيه طرائف اللغة العربية ، وانتفت منه العنجهية والحوشية · ونفحت فيه المفردات والجمل بنفحات قدسية صالحة للمعاش والمعاد · قد أطلع فجراً جديداً على البيان العربي في الحقبة التي تلت ظهور الاسلام الى ماناهز خمسة قرون ·

وفي الضوء الساطع الذي أضاء ذلك الفجر به أم الشرق أخرجت القرائح أعاجيبها عقلاً ونقلاً ، فقهاً وسياسةً ، وابدت السجايا في مختلف تلك الامم ضروب زينتها باللهجات الفصحى كما ابرزت الالباب كوامن قواها في استصلاح تلك اللهجات لكل شأن

من الشؤون العامة والخاصة نظماً وترسلاً · فكانت بجملتها وتفصيلها لغة عربية خالصة ولكنها لغة حقبتها ·

تنبهت أذهان العالم الشرقي العربي والعالم الغربي العربي ايما تنبه للتحبير والتحرير على السنة الجديدة فأوجد النابهون منهم ما لم تسبق به الظنون مما يشتمل عليه الادب من الفنون ذهب كل مذهبه واتى مجماً يجرى السهل الممتنع على قلم عبد الله بن المقفع وصنوه عبد الحميد واندفعت خواطر الجاحظ في كل ما وصل اليه ذهنه من منظور ومحسوس ترسل أشعتها الى أغوار السرائر · ونقل الطبري الى تاريخه ذخائر معرفته باخبار الايام في أسلوب رشيق شائق واستفاض ابوالفرج الاصفهاني في أغانيه بما اتقف لديه اكباراً وقوفك تجاه البحر الزاخر وجاء بديع الزمان في ترسله وتمحله بما لايزال نسيج وحده · وجمع الحريري من مكنونات اللغة في مقاماته ما لا تحصيه المخيلة · واتى الثعالبي في يتيمة الدهر بما طبق اسمها على مسماها احسن تطبيق · وصاغ ابن خلكان سير الأعيان في قلائد من الجمان · ناهيك باحمد بن ابي طاهر في كتابه المنثور والمنظور · و بالعتبي في مغازي السلطان محمود بن سبكتكين · الى كثير غير اولئك من النوابغ الذين لا تنفسح لتعديد اسمائهم الدقائق المعدودة ·

واما في قرض الشعر فهل أذكر لكم بعد المعلقات المجمهرات والمشوبات والمذهبات والمفضليات والأصمعيات وروائع بشار بن برد ومسلم بن الوليد وابي نواس ومروان بن ابي حفصة وابي الشيص ودعبل · ثم هل أذكر المتنبي في ابتكاره والبحتري في رقته وابا تمام في جزالته والمعري في حكمته وسمو فكره وسماحة فطرته والشريف الرضي في إفاضته المدهشة وابن الرومي ومهياراً في أساليبهما المشتملة على ماشاء الابداع من دقائق الوصف مع امتداد النفس وراء ما كان مألوفاً من صناعة السابقين ·

بقي ان نشير بكلمة الى ما جاء به اهل الاندلس والمغرب فقد حفظوا البليغ والمأثور من كلام عرب الشرق أحسن حفظ وقوموا ملكاتهم على الاساليب الفصيحة المبينة ولكنهم أدخلوا في صياغتها ومحسناتها ماشاءته طبيعة بلادهم وما آثرته سجايا اهليها · فاذا قرأت منثورهم فكله وضاء زاهر رقيق متجاف مواطن الوحشية متساوق اللفظ والمعنى في شوط الجلاء على ماتراه في تصفحك المقدمة لابن خلدون والعقد الفريد لابن عبدربه ونفح الطيب

للمقري والاحاطة للسان الدين بن الخطيب وقلائد العقيان ومطمح الانفس للفتح بن خاقان · والمشرق والمغرب لابن سعيد واولاده · واذا قرأت منظومهم فقل ما شئت في عبقرية ابن هانئ الملقب بمتنبي الغرب وطلاوة ابن خفاجة ورقة ابن حمديس وسهولة ابن سهل · والابتكارات واللطائف التي لا تنافسها عقود الدر ولا قطرات الندى ولا نسمات الرياض في الموشحات وتفاريعها وزهرياتها وخمرياتها وفراقياتها بين جد ودعابة ·

اولئك المتقدمون شرقاً وغرباً ممن أوردت اسماءهم او لم اوردها قد أتحفونا بلغة ذات اجهزة وافية ، وآلات متنوعة نهاية التنوع ، ليستخدمها فكر الأديب الاريب في التعبير عن الكليات مهما كبرت ، والجزئيات مهما صغرت ، بأنق ديباجة وأبدع وشي ، والطف ما يصل به اثر القلب الموحي ، الى أبعد طوايا القلب الذي يتلقى ذلك الوحي مطالعةً او سماعاً ·

غير ان مناجم تلك الجواهر ومنابت هاتيك اللآلئ دفينة في بطون أسفار جمة ضخمة ، وهي فيها متباعدة المظنات مفقودة الأعلام مبهمة الصوى لا يبلغنا اليها الا التنقيب عنها واعنات الروية وكد الذهن في تعرف اماكنها واستخراج نفائسها · علة للقصور لم يتلاف الى الآن القوام على اللغة الا بعضها ، ولكن الأديب لا يكون أديباً الا وقد تجشم هذه المشقة وبذل ذلك الجهد وأصبح بالمواضع التي يصيب منها سداداً لحاجته ووفاء بغرضه عليماً بصيراً · ولن يكون على هذا بالاديب التام فما تلك إلا مرحلة بجهاده واجتهاده توصله الى تقويم لسانه وتمحيصه وابعاده عن مزلات الرطانة واللكنة والعجمة وتعرفه كيف يحسن الاقتداء بالسلف ليبدع في غير بدعة تتهدم بها تخوم لغته وتنفصم عرى عروبته ·

هي الاولى من مرحلتين وهي اشقهما مطلباً وابعدهما غاية · اما الثانية فهي الاطلاع على ماحدث في البيان العربي بعد تلك الحقبة الكبرى اي من بدء زمن الانحطاط الطويل الى مستهل البعثة المتجددة الى نهاية ماوصلت اليه في هذه الايام ·

أمر مروراً عاجلاً بحقبة الانحطاط التي لم تخل من مجيدين في النظم ان لم يبلغوا المتقدمين صفاء ديباجة ولا فتق ذهن فقد أسلسوا من مقادة الغريب في الالفاظ والأساليب وأحدثوا طرائق خاصة لتسهيل ما صعب من ضروب التصرف في مختلفات

الأزمنة الاولى الى صورة حال جديدة . وفي مقدمة هؤلاء صفي الدين الحلي وابن النبيه وابن معتوق والابيوردي وابن العفيف التلمساني والبهاء زهير وابن الفارض وابن مطروح وابن نباتة . كذلك لم تخل تلك الحقبة من المجيدين في النثر كابن فضل الله العمري في مسالك الابصار والقلقشندي في صبح الاعشى والمقريزي في الخطط وشهاب الدين النويري في نهاية الأرب وابن الاثير الكاتب في المترسل . اما جمهرة الناثرين فكانوا من كتاب الدواوين وفي برمتهم هذه كان الاشتغال بالبديع آية احلال الحليات اللفظية محل المعاني .

بعد هذه النظرة أفضي بكم الى عصرنا هذا لأتبين معكم بمثل لمح الطائر ما صار اليه اللسان العربي وما يستطيع المتأدب ان يستفيده منه ليستكمل عدة ادبه على النحو الذي يوافق حضارة الزمن ومتباينات مطالبه .

بدأت البعثة الأدبية في مصر منذ عهد محمد علي وكانت الهجنة والركاكة العامية المتشبعة بخليط لا وصف له من الرطانات والكلمات المحرفة عن اصل مدلولاتها هي الاداة الغريبة التي يتفاهم بها القوم نطقاً وكتابة .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

بدأت النهضة والازهر مصدرها غير انها كانت تمت الى عهد الانحطاط بسبب ولوع اصحابها بتقليد البديعيين ولكنها كانت هبّة من سبات الجهل والخمول وحفزة الى غاية من العرفان والنباهة . وفي طليعة ارباب الاقلام يومئذ بمصر الشيخ حسن العطار ، الشيخ حسن قويدر ، محمد سيد احمد باشا ، رفاعة بك ، رجال مدرسة الالسن . ثم أعقبتها على الاثر وقفة لم تجاوز مدتها مدة عباس الاول وسعيد . فلما تولى اسماعيل استأنفت نشاطها واظهر من ظهر في مبادئها الشيخ محمد شهاب الدين شاعراً وناثراً على رأس سلسلة ينتظم الاستقراء فيها اسماء :

عبدالله فكري باشا ، علي مبارك باشا ، السيد علي الدرويش ، ابراهيم بك مرزوق ، محمد قني ، محمود صفوت الساعاتي ، ابي السعود سلامة ، النجاري ، الشيخ احمد عبدالرحيم ، الشيخ علي الليثي ، الشيخ علي ابي النصر ، عبد الخالق الزرقاني ، بين ناثرين وشعراء . بعض هؤلاء أدرك زمن توفيق وفي عهده قويت النهضة بارزة بها اسماء :

شفيق منصور ، عبد الله نديم ، الشيخ حمزة فتح الله ، محمود واصف ، الشيخ احمد مفتاح ، احمد سمير ، حسن حسني الطو يراني الخ الخ ٠

من مخلفات هؤلاء جانب ضـاع ولكن جانباً منها ولعله اغلاها قيمة نجا بفضل الله ، على ان الروح التي صدرت عنها تلك الحركة ما عتمت ان أبدت في سماء البيان كوكبين من كواكب الاقدار الكبرى هما محمود سامي باشا البارودي شاعراً ، والاستاذ الامام الشيخ محمد عبده ناثراً ٠ ثم اخذت سماء ذلك البيان تزدان بالنجم تلو النجم في نظام سأذكر من رجاله لكم الذين استأثرت بهم رحمة الله ، وادع ذكر الاحياء مد الله في آجالهم لانكم تعرفونهم ٠ فمن الشعراء :

اسماعيل صبري ، محمد حفني ناصيف ٠ ومن الكتّاب عدا الشيخ محمد عبده :

ابراهيم اللقاني ، ابراهيم المويلحي وابنه محمد المويلحي ، الشيخ عبد الكريم سلمان ، مصطفى نجيب ، الشيخ علي يوسف ، قاسم امين ، محمد فتحي زغلول ، الشيخ المهدي ، مصطفى كامل ، الشيخ المنفلوطي ، الشيخ الخضيري ، امين الرافعي ، سعد زغلول هذا في مصر ٠

واما في الشام ولبنان فنهضتهما متصلة منذ الساعة الاولى بنهضة مصر وكتب الفريقين متداولة بين البلادين فقد برز كتّاب وشعراء ٠ اذكر منهم الذين توفاهم الله ولهم بقايا ادبية يرجع اليها وهم :

محمد بن حسين الحلبي العطار ، كمال الدين العمادي الجراعي ، حسن جبينه ، بطريرك الروم الكاثوليك مكسيموس مظلوم ، جبرائيل بن يوسف المخلع ، كمال الدين الغزي ، محمد عابدين صاحب الحاشية الشهيرة في الفقه ، عبدالغني الميداني ، الامير عبد القادر الحسني ، محمد نور الترمانيني واخوه احمد ، رزق الله حسون ، امين الجندي ، فرنسيس المراش ، اديب اسحق ، محمود الحمزاوي مفتي دمشق ، الشهاب احمد المنيني ، ابراهيم الحوراني ، ميخائيل مشاقة ، الشيخ طاهر الجزائري ، الشيخ محمد مبارك ، السيد محمد مرتضى ، الشيخ عبد الرزاق البيطار ، الشيخ جمال القاسمي ، السيد عبد الرحمن الكواكبي وشقيقه الشيخ مسعود ، الشيخ بشير الغزي ، رفيق العظم ٠

واما العراق فبجانب جماعة من السادة الالوسية فتحت سلسلتهم بابي الثناء وتمت الى

عهد قريب بالسيد محمود شكري الالوسي ، يذكر من الشعراء والكتاب الذين انتقلوا الى اكرم جوار :

كاظم ورضا الازريان ، عبد الحميد الاطرقجي ، عمر رمضان ، صالح التميمي ، عبدالغفار الأخرس ، عبدالباقي العمري ، احمد عزت باشا العمري ، السيد حيدر الحلي حسين العشاري ، محمد الغلامي ، احمد الجسابي ، عبدالفتاح الشواف ، حسن الاصم ، حسن البزاز ، السيد ابراهيم الطباطبائي ، السيد حسن الداودي ، السيد احمد الفخري واخوه احمد ، السيد محمد سعيد حبوبي الحسيني ، السيد جعفر الحلي .

واما في لبنان فقد برّز من الشعراء والادباء الذين لقوا ربهم : ناصيف اليازجي ونجلاه ابراهيم وخليل ، بطرس كرامة ، ابراهيم الأحدب ، يوسف الاسير ، قاسم ابو الحسن الكستي ، عمر الانسي ، احمد البربير ، عمر اليافي ، احمد فارس الشدياق ، مارون النقاش ، خليل الخوري ، البستانيون بطرس وسليم وسليمان وعبد الله ، نجيب وامين الحداد ، الياس صالح ، امين وشبلي الشميل ، بشاره زازل ، يعقوب صروف ، اسكندر وداود عمون ، فرح انطون ، اسكندر شاهين ، نعوم لبكي ، جرجس همام ، نصيف المعلوف الخ

http://Archivebeta.Sakhrit.com

عددت اعلام النهضة الحديثة في الاقطار العربية الثلاثة بلا تدقيق في الترتيب الزمني لما فاتني في رحلتي من وسائل المراجعة واستغفر الله الى ذكرى الذين انساني ضيق الوقت والاسراع في اعداد هذه الكلمات اسماءهم ففاتني على غير عمد .

ما ذا أهدى الى الادب العربي اولئك الادباء والشعراء ؟ أضافوا الى الذخائر القديمة ذخائر مما اوحت اليهم ايامهم . ألانوا اعواد اللغة من جفاف وآنسوا اوابدها من نفار . عدلوا شيئاً كثيراً من السبك العام للمواضيع في الاسلوب العام للكتابة . ادنوا قطوفاً لم تكن دانية . زادوا على المفردات طائفة مما دعت اليه الحاجات الجديدة . وسهلوا التحصيل وفتحوا ابواباً واسعةً للتفكير .

صنعوا عظيماً ، ولكن ما بقي عمله اعظم .

وهنا كان ولا يزال محل اتهام اللغة بالتقصير في رأي الذين قابلوا بينها وبين سواها فيما يتعلق بالتعبير عن اغراض هذا الزمن وطريقة الاخذ به كأنهم يريدون الطفرة

والطفرة محال . اجل بقي علينا عمل أعظم مما عمل ليتسنى القرب بين ما هو كائن وما يجب ان يكون ولكن التبعة في التقصير هي علينا وليست على اللغة .

وفي وسع ادبائنا استكمال ما نقص في الاسماء ، وانتهاج النهج الذي يريدونه في تصوير الخيال ، والذهاب في المذاهب التي يؤثرونها لاداء معانيهم مع صحة اللغة وصيانة الاساليب الخالصة . وان تكوين الاديب على اي حال اريد ، لميسور بالمادة التي بين يديه من قديم الكتب العربية وحديثها . على انه مطلب شاق ومرمى بعيد . لكن الصعوبات تسهل والعقبات تذلل لدى مديم النظر ومدمن المطالعة ومصرف الفكر في وسائل الخلق والتجديد .

لقد كان بودي لو اضرب لكم الامثال فانها ادنى متناولاً وابلغ في استيفاء التبيين بيد ان الوقت لا يتسع في هذه المرة فليكن ما ذكرته مقدمة اجمالية موجزة ليستأنف هذا البحث من هو اقدر عليه مني و يسهب فيه بالقدر الذي يريحكم من ثمين الوقت ما اضاعه سابقوكم من المعاصرين في التماس المادة الكافية بين قديم الادب العربي وحديثه للوفاء بكل ما تقتضيه مطالب هذا الزمن من الانواع الشعرية والنثرية المتعددة .

واختم كلامي بالثناء عليكم لحسن استماعكم وبالرغبة الى الله ان يقيض من فتيان الاقطار العربية للغة الفصحى ادباء يحكمون المباني و يبتكرون المعاني . و يخرجون في الاغراض البيانية الحديثة كتباً تنفسح لها صدور الاندية في العالم بجانب الموم الكتب التي اخرجها ادباء الغرب .

— ✻ —

ادبنا القومي

—«»—

نشرت جريدة المساء الغراء من أمهات صحف مصر تسع مقالات ممتعة لاديب كبير وباحث منقب نشرها متنكراً بتوقيع (باحث) فرأينا اقتباسها في هذه المجلة تعميماً لفوائدها الغزيرة ، وعسى ان تصح عزيمة احد الباحثين فينسج على منوالها في وصف أدبنا القومي في الشام :

تقدم اليَّ من لا يسعني الانحراف عن مرضاته بمعالجة هذا الموضوع . ولقد طالما وسوست لي بذلك نفسي ، وفي الحق ان هذا الموضوع يبلغ في بابه من الجلالة والدقة غايتها . وفي الواقع انني لم أقع الى الآن على من أسبغ القول فيه وتناوله بالدرس من جميع أقطاره . وكان خيراً لو قامت جماعة من اهل العلم والبيان ، وهم بحمد الله في بلادنا كثير ، فتوفروا على درس (أدبنا القومي) وتحليله تحليلاً دقيقاً يردون فيه كل عنصر الى اصله ومنجمه ، ويشيرون في الغاية بالرأي فيه ، والوجه في تهذيبه اذا كان في حاجة الى التهذيب . ويخطون له الخطة التي ينبغي ان يسلكها حتى يبلغ كماله المقسوم ، وبعبارة أوضح حتى يؤدي حاجاتنا في هذا الباب ، ويواتينا بكل مطالبنا باعتبارنا أمة لها كيانها الخاص ولها سائر مشخصاتها الخاصة ، ولكن جمعية من العلماء وأعيان البيان لم تتألف لهذا الغرض الى الآن ولا أحسبها تتألف في يوم قريب ، فأصبح حقاً على الافراد ان ينبعثوا في هذا المطلب مهما أصابوا من عسر ومشقة ، ومهما تقاصرت عزائمهم عن حق الدرس والتحليل ، فلقد قال المتقدمون : (شيء خير من لا شيء) .

ثم لعلي اذا تقدمت لمعالجة هذا الموضوع ان ابعث له غيري ، ادع لمعالجته من هم أوسع به علماً ، وادق له فهماً ، فاذ لم يتم بذلك الغرض كله فسيتم منه صدر محمود فوق انه سينير الى باقيه وجه السبيل .

على ان اخشى ما اخشاه الجدل ، فان خلقاً منا مع الأسف الكثير ، طبعوا على الجدل لا لشيء الا لحب الجدل . ولو قد راجعت اكثر الموضوعات العلمية والادبية التي طرحت على اهل الذكر عندنا ، بل كلها لرأيتها مدينة للجدل في انطوائها دون الانتهاء الى الرأي فيها . ولهذا فقد عولت على انه اذا نهض لي من يريد مجادلتي فانني لا انصرف عن موالاة بحثي حتى أفرغ منه ان شاء الله فان كان ممن يستحق ان يجادلوا ، بان كان من القاصدين الصادقين في البحث وتحري الحق والنفع فانني أنتبذ معه في الحوار موضعاً آخر حتى لا يعترض مجرى هذا الكلام . وليس معنى هذا انني لا أعدل الى الحق فيما يتبين لي انه الحق ، فما أكتب لأطلب الباطل ، انما أبغي الا يصرفني عن غايتي الشغل بما لا خير فيه من قيل وقال .

وما أحاول ما استطعت ان اجعل رسائلي على الاسلوب العلمي ، فأروض نفسي على الصبر ، وكلي على الوداعة والاتئاد في البحث والاستقراء ، واستظهار الحقائق مجردة من كل عاطفة ، فللعواطف مواقف غير مباحث العلوم .

— تمهيد —

مما لا يعتريه الشك ان لكل أمة ادباً خاصاً بها ، هو الذي يدعى في العرف الحديث (بالادب القومي) . وذلك بديه لان لكل أمة أصلها و كيفية تكوينها ، ان كانت مكونة من عناصر متعددة ، وجوها ، ومناظر بلادها ، وما اخذت به من عرف ، وما درجت عليه من اخلاق وعادات وتقاليد الخ . هذا فضلاً عن حظ كل أمة من العلم ، ومبلغها من الثقافة ، ونوع الثقافة التي تنتظم جملة ابنائها .

ومما لا نزاع فيه كذلك ان لكل هذا اثراً قوياً في حياة الامة وطريقة تفكيرها ، وتصورها للاشياء وتقديرها لها وحكمها عليها . كما ان لها اثراً قوياً في احساسها بالحسن والقبح وعواطفها في الحب والبغض ، وغير هذا مما يعتلج في النفس من ضروب المشاعر ، وتتعلق به الأخيلة من وجوه الاحلام . لحق بهذا كله ان يكون لكل أمة أسلوب خاص بها لا يشاركها فيه غيرها سواء في وصف الأعيان البارزة ، او في تأدية الافكار والآراء او في تصويرالعواطف الباطنة والاحساس الكامنة وآداب المناظرة والادلاء بالحجة وفي ألوان المفاكهات والمنادرات والتمابث بالمضحك من الكلام .

لكل أمة ادب — بديه ان يكون لكل أمة ادب خاص بها لا يشركها فيه سواها مادامت الغاية الجلى من الأدب تصوير مشاعر النفس ، وتفصيل مايعتلج فيها من الوان العواطف والاحساس . ولقد علّلنا هذا في التمهيد الذي قدمناه بين يدي هذا الكلام بان لكل أمة اصلها او كيفية تكوينها ، وجوّها ، ومناظر بلادها الخ الفروق التي تقوم بين كل أمة وغيرها من الأمم . وقلنا : ان لهذا اثراً قوياً في حياة الامة ، وأسلوب تفكيرها وتصورها للاشياء وتقديرها لها وحكمها عليها . كما ان لها اثراً قوياً في إحساسها بالحسن والقبح ، وعواطفها في الحب والبغض ، وغير هذا مما يعتلج في النفس من ضروب المشاعر ، وتتعلق به الاخيلة من وجوه الأحلام .

وبعد فان لساننا نحن المصريين انما ينمى الى العربية . وان ادبنا في الجملة انما ينتسب الى ادب العرب . يشاركنا في هذا كثير من الامم كأهل الشام والعراق وجزيرة العرب وبلاد المغرب ادناه واقصاه وبعض بلاد السودان وغير هؤلاء . كلنا محسوب في لسانه على العربية ، متعلق في ادبه بادب العرب . ومع هذا فان لكل أمة من هذه الامم ادباً خاصاً عليه طابعه وله كل مخصصاته ومقوماته التي تميزه عن سائر آداب الامم العربية الأخرى . وذلك تقدير الطبيعة نفسها لا أثر فيه لسعي انسان وانك لا تقتضي سكان اهل البادية ان يعيشوا عيش اهل الحاضرة وان يفكروا على طرز تفكيرهم ، ويحاوروا في اسبابهم على أساليبهم . كذلك لاتقتضي الطبيعة المشاركة في التفكير بين أمة تعتمد في عيشها على الحروب وشن الغارات وبين امة لا تتكئ في عيشها الا على الزراعة والصناعة والتجارة وهي لا تستطيع ان تعالج شأنها الا في ظل الأمن والسلام . وكذلك لاتستطيع ان تسوي في الاحساس بالاشياء ومبلغ الشعور بالمعاني وتحرك العواطف بين قوم يسكنون المحل و يعيشون في المحل ، وبين آخرين حبتهم الطبيعة بالخصب فنمت الزروع وحملت الضروع ، وزكت الرياض وجادت الثمار ، وضحكت الازهار ، وغنت على الافنان كل ساجعة من الاطيار وهكذا ...

بعد هذا لم يكن من حقنا على الطبيعة ولا على الواقع ان نقدر يوماً ان يكون لنا ولغيرنا وان اشتركنا في اصل اللسان ادب واحد حتى لو كانت بلادهم ادنى البلاد منا ،

وكان لاهليها اوثق الصلات بنا كأهل سوريا مثلاً ·

وكيف يتهيأ هـذا ونحن نسكن وادياً سهلاً مبسوطاً يشقه نهر عظيم هو كل مادة ما كنيه من انسان وحيوان في التربي وفي سقي الحرث · ثم نحن لنا تاريخنا واصلنا المتصل بقدماء المصريين من جهة و بالعرب الفاتحين ومن سقطوا الى بلادنا في مختلف العصور من جهة أخرى · ثم ان لنا آثارنا وعاداتنا الخاصة بنـا · ثم ان لنا طبائعنا الموروثة واخلاقنا المأثورة وعاداتنا المرسومة في كل اسباب الحياة · بينا الطبيعة قد رفعت في سوريا الجبال السامقة تنبثق في صياصيها الينابيع وتنعطف فيهـا الجداول فتقلدها أبهى الحلي وتكسوها أزهى الحلل · وهنالك غير ذلك من مجالي الطبيعة ما لا تقع عليه عيوننا في هذه البلاد ؛ ثم ان لهؤلاء القوم كذلك اصلهم وتاريخهم وعاداتهم واخلاقهم وعادياتهم الموروثة عن سلفهم الخ ·

فكيف بعد هذا تريد الطبيعة على ان تطبعنا برغم كل هذا الخلاف على غرار واحد في كيفية التصور وأسلوب التفكير والوان التشبيه واستثارة العواطف بحكم ما يعتري النفس و يطالعها من وجوه المعاني المختلفة ؟ اللهم الا بهذا فسأل الطبيعة المستحيل ·

ولا يذهب عنك ان الاختلاف في هذه الاسباب يدعو من غير شك الى الاختلاف في كيفية تأليف المعاني اولاً ، ثم في طريقة نظم الكلام و لاطراد باساليبه وتخير صيغه وتحري الفاظه ·

ثم اعلم ان كثيراً من مفردات اللغة العربية قد انحرفت في زمن العرب انفسهم عن معانيها الاصلية واستقرت على معانٍ أخر بحكم التجوز وطول الاستعمال حتى اذا اطلقت على معانيها الجديدة اعتبرت حقيقة ، واذا أطلقت على معانيها الاصلية اعتبرت مجازاً · وهذا وحده يدلك على شدة اثر العرف وطول الاستعمال في صرف الالفاظ عن معانيها التي طبعت لها الى معان أخرى بينها وبين تلك نسب قريب او بعيد ·

اذا علمت هذا فاعلم كذلك ان الالفاظ كثيراً ما تتكيف وتتشكل في دلالتها على المعاني متأثرة في هذا ببيئة كل قوم وبعرفهم و بسائر اسبابهم · ولقد يكون اللفظ في نفسه جميلاً شريفاً فتراه يسمج في السمع ويخبث بطول التكنية به عن معنى كريه مقبوح ، كما يحلو اللفظ ويخف على السمع بطول اطلاقه لاي سبب على معنى كريه محبوب ·

واذا كان لكل أمة رأيها في بابي التكنية والتجوز باللفظ وما اليها سهل عليك ان تقدر ما يكون بين لغاتها في الواقع من الخلاف الشديد برغم انها كلها تنحي الى اصل واحد وتستمد من ينبوع واحد ·

لهذا ترى لكل أمة أسلوبها الخاص في تصوير المعاني وفي نظم الكلام وفي تخير الصيغ وفي انتقاء الالفاظ ، وانها لتختلف اختلافاً شديداً او يسيراً في شعرها وفي منثور كلامها وفي محاضراتها وفي اغانيها ، وفي الوان مفاكهاتها الخ ، حتى انك لتطلق بين يدي السوري أروع النكات المصرية وأبعثها على الضحك فتراه قد حملق فيك عينيه ، وظل مشدوهاً حائراً لايحس وجه العجب الذي يجر فاك بالضحك من ذلك الكلام ! وان الامر ليجري على العكس كذلك ·

وابلغ من هذا انك ترى الأدب يختلف باختلاف النواحي في الامة الواحدة ، وان كانت هذه الآداب المختلفة تندرج كلها في ادب الامة العام او مايدعى (الادب القومي) ولسنا في هذا نذهب بك بعيداً فان لسكان القاهرة والاسكندرية مثلاً اغانيهم (من مذاهب وادوار وطقاطيق ومواليا) واحاجيهم (فوازير) ونحكاتهم · ولاهل الصعيد أغانيهم وواواتهم · ولسكان الوجه البحري مواليهم ومطارحاتهم وكل ذلك يختلف بمعانيه والفاظه وطريقة صياغته خضوعاً لحكم البيئة وطوعاً لمطبوع الاخلاق ومأثور العادات · وليؤذن لنا ان نسمي هذا الادب (بالادب المحلي) · وهذه الآداب المحلية على اختلافها بقدر كبير او يسير انما تندرج كلها تحت الأدب المصري العام · وقل مثل هذا في كل بلاد تنطق العربية او تنطق غيرها من اللغات ·

وقبل ان نغادر هذا الموضع يحسن بنا ، ونحن في معرض تحقيق علمي ان نلفتك الى حقيقة واقعة وهي ان من الفروق التي تعتد بين آدابنا المحلية ان ادب اهل الصعيد على مافيه احياناً من رقة تكاد تشبه السحر ومن سمو معان لعله لم تتعلق بها أخيلة كثيرين من الشعراء ، فان هذا الادب تغلب عليه الفحولة والصلابة وسطوة الكلام حتى فيما يتصل منه بالتعشق والتنفس بأحر الوله . اما ادب الوجه البحري فيغلب عليه على الجملة لين اللفظ وفتور ، ورخاوة المعاني وتكسر النفس بما يلحقها من الوله على المعشوق والضراعة بكل ذمل الصبابة بطلب الوصال · اما ادب الحواضر الكبيرة فمزيج امتق من هذا وذاك ، على انه

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

يمتاز احياناً عن الأدبين فضلاً عن براعة النكتة وتجويد الوان التندر بالتفحش في القول والابتذال في اسباب التعشق الى حد ايراد الداعر المهتوك من الكلام ·

وفي هذا المقام يحسن بنا ان ننبه الى خطإ شائع بين كثير من المتأدبين · ذلك انهم يظنون ان الادب محصور في الشعر وفي (النثر الفني) وهو الكلام الذي يجتمع الكاتب لصياغته وتجويد صنعته والتحليق بمعانيه حتى تجري مجرى التخيل ، والتماس الوان المحسنات له في مثل (المقامات) ورسائل المودات والشفاعات والتهنئة والتعزية والعتاب والاستزارة والاستهداء ونحو ذلك · فان الادب في الواقع أوسع من ذلك القدر وأعم بكثير لانه أداة للترجمة عما يختلج في النفس من المشاعر ، ويعتلج فيها من ألوان العواطف كما انه أداة لتصوير المعاني المختلفة تصويراً يحفز النفس ويبعث فيها العجب ·

وعلى هذا فاننا اذا أدرجنا في أدبنا القومي الشعر والنثر الفني (ولما بعد في هذا كلام) لحق علينا ان ندرج فيه الزجل والاغاني من (مذاهب وأدوار ومواليا بل وطقاطيق) والواوات وغيرها مما يجتمع المصري لنظمه وتنسيقه لانشاده او التغني به ، بل (النكتة) البلدية التي أحسب ان المصري قد انفرد بها من بين سكان العالم ·

هذا كله ينبغي ان يعتد به في حساب الادب القومي وتبيين حدوده والمكابرة في هذا مكابرة في الواقع ومكابرة في حقيقة الادب نفسه ·

بعد هذا كله لم يبق لك بد من التسليم لا بالواقع وحده وهو ان لنا ادباً خاصاً لا يشركنا ولا يجوز ان يشركنا فيه سوانا مهما استوثقت بيننا وبينه الصلات · ومن ذهب الى غير هذا ودعا اليه فهو اما غافل او محارب لحكم الطبيعة ، والدعوة اليه على الحالين دعوة الى مسخ التصور وافساد الشعور وقتل العواطف والحيلولة بين ما يجول في النفس وما يجري به اللسان والقضاء على الادب كله قضاء خالداً على وجه الزمان ·

« باحث »

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

مطبوعات حديثة

البيان المُغرب

– في أخبار ملوك الاندلس والمغرب –

« لابي العباس ابن عذاري المراكشي – الجزء الثالث – اعتنى بنشره »
« السيد (إ · لافي بروفنسال) طبع في مطبعة مارصيل ايستاس في مدينة »
« لوفين في بلجيكا سنة ١٩٣٠ ص ٣٦٨ »

نشر العلامة دوزي الهولاندي الجزءين الاول والثاني من كتاب (البيان المغرب في أخبار المغرب) لابن عذاري المراكشي في مدينة ليدن سنة ١٨٤٨ – ١٨٤٩ وقدم الجزء الاول مقدمة جليلة بالفرنسية في ١٠٧ صفحات ذكر فيها الغرض من نشر كتاب ابن عذاري وتعرض لمواضع ناقصة من تاريخ الاندلس ، وكان فيه الثبت المقدم في عصره · وقد اختلطت فيما نشر لابن عذاري قطع من نظم الجمان لابن القطان في الجزء الاول ، وأخرى من تاريخ عريب في الجزء الثاني · اما الجزء الثالث الذي ظفر به الاستاذ بروفنسال في خزانة الاستاذ السيد محمد عبدالحي الكتاني بمدينة فاس فهو في خبر لمتونة والموحدين والحفصيين والنصرية والمرينية الى عام ٦٦٧ ، والغالب ان ما نشره هو قطعة صالحة من الجزء الثالث ، لان الحوادث لم تتسلسل الى اكثر من سنة ٤٦٠ ﻫ اي حوادث أعوام تفرق امر الجماعة وتوالي المتوثبين على الخلافة الأموية في الاندلس · وفي هذه الصحف المنشورة صحائف من المخازي والانحطاط ، او ضعف الوازعين الديني والدنيوي ، لم تسلم معها الاندلس قرنين آخرين الا بقيام دول فتية أتتها من بر العدوة اي من سواحل إفريقية فاستولت عليها ، وقاومت فيها ملوك اسبانيا والبرتقال أعواماً طويلة الى ان تأذن الله بانقراضها الاخير ·

وبالجملة فقد ذكر المؤلف (ص١٥٥) ما كان من تداول الولاة الامراء والثوار من حين الفتح الى خلافة عبد الرحمن الداخل ، ثم تداول الامراء الامويين من بعده الى دولة ابن ابي عامر وابنيه ، وذكر من ولي الخلافة بقرطبة في زمان الفتنة الى سنة ثنتين وعشرين واربعمائة ، وهو حين خلع اهل قرطبة بني أمية اجمعين ، ثم ذكر ما كان من اخبار المتغلبين على بلاد الاندلس عقب هذه الفتنة المبيرة . وكل ذلك سلاسل من المظالم والحروب الاهلية المؤلمة .

والذي في هذا الكتاب بنقص بعض الكلمات او السطور او الصفحات في اجزائه الثلاثة . ومع هذا كان في ما نشر منه فوائد يتلقطها الباحث في تاريخ الاندلس ، بل الباحث في تاريخ الادب ، لان معظم عبارات ابن عذاري ومن نقل عنهم من المؤرخين هي عبارة عن نموذجات راقية في الانشاء الاندلسي ، وبقدر مابلغت المدنية عند الاندلسيين من الاستفاضة على نحو ماتراها في اكثر ممالك الغرب لعهدنا ، كانت المنازعات قائمة بين القائمين بالامر الى التي ليس بعدها . فقد نقل ابن عذاري في أخبار هذيل احد امرائهم انه كان « أرفع الملوك همة في اكتساب الآلات وهو اول من بالغ الثمن بالاندلس في شراء القينات اشترى جارية ابن عبد الله المتطبب ، بعد ان أحجمت الملوك عنها لغلاء سومها بثلاثة آلاف دينار فملكها ، وكانت واحدة القيان في وقتها ، لانظير لها في معناها ، لم يُر أخف روحاً منها ، ولا أملح حركة في جميع امورها » . « قال ابن حيان في تاريخه : لم ير في زمانها أخف منها روحاً ، ولا أسرع حركة ، ولا ألين اعطافاً ، ولا أطيب صوتاً ، ولا أحسن غناء ، ولا أجود كتابة ، ولا أجود خطاً ، ولا أبدع أدباً ، ولا أحضر شاهداً ، مع السلامة من اللحن في كتبها وغنائها ، لمعرفتها بالنحو واللغة والعروض ، الى المعرفة بالطب وعلم الطبائع ومعرفة التشريح ، وغير ذلك مما يقصر عنه علماء الزمان . وكانت محسنة في صناعة الثقاف والمجاولة بالتراس ، واللعب بالرماح والسيوف والخناجر المرهفة ، لم يسمع لها في ذلك بنظير ولا مثل ولا عديل . ثم ان الامير هذيل اشترى كثيراً من الجواري الحسنات المشهورات بالتجويد طلبهن في كل جهة ، فكانت ستارته أحسن ستائر ملوك الاندلس ، وكان مع هذه الاوصاف كنفاً للقصاد ، ومنهلاً عذباً معيناً للوراد ، سهل المأخذ لم يزل على احسن حالاته ، الى ان أدركته منيته ، فات

بالسهولة سنة ست وثلاثين واربعمائة فكانت دولته ثلاثاً وثلاثين سنة كلها آمنة هادئة اهـ » وأمة تخرج قينة جمعت هذه الصفات من النبوغ ، تعد في أرقى درجات الحضارة ، وأمة تتناغى على هذه الصورة في المنافسة في اقتناء القيان بحمل منها كيانها ولو بعد جيل او أجيال ·

هذا وللاستاذ الناشر الشكر على هذه التحفة لو خلت من غلطات كثيرة مطبعية وغيرها · اما جودة الطبع والفهارس التي وضعها المحرر ، وهو أستاذ كلية الادب في جامعة الجزائر ومدير معهد المباحث العالية المغربية بر باط الفتح في المغرب الاقصى ، فشيء عودناه علماء المشرقيات كلها ، متى أرادوا نشر كتاب من كتب العرب ·

محمد كرد علي

الديمقراطيون البلجيكيون

« سنة ١٧٨٩ »

تأليف السيدة سوزان تاسيه ص ٤٧٩ طبع في بروكسل

Suzane Tassier : Les démocrates belges de 1789. Publié par l.Académie royale de Belgique

هذا تاريخ الثورة التي قام بها سنة ١٧٨٩ ، القسم الاعظم من البلجيكيين ليتحرروا من رق النمسا ، وكانت بلادهم صارت اليها بحكم الوراثة ، فاغتنم الوطنيون البلجيكيون الاحوال السياسية في اوربا واميركا ، وكانت الثورات تهز العالم منذ سنة ١٧٧٤ بدأت بالولايات المتحدة الاميركية خرجت من نير انكلترا ، ثم في فرنسا فأنقذت نفسها من ظلم الملوك ثم في هولاندة · وكانت أفكار الثورة الافرنسية انتشرت في البلجيك بين اكثر الطبقات ، واشتد جوزيف الثاني في حكمه الاستبدادي ، وساعد الثائرين ان أغلقت الحكومة زهاء مئة وخمسين ديراً فانضم بعض رؤساء الدين الى الثائرين الذين ديروا أمرهم وقاموا بزعامة احد المحامين المشهور بن واسمه (فونك) وبذل بعض الغيور بن مالاً ، واقتنت الامة السلاح ، صنعته في أرضها كما صنعت الخراطيش ، وبدأوا ثورتهم

بثلاثة آلاف شـاب دربهم على حمل السلاح احد قدماء قواد البلجيك في ارض مجاورة للبلاد الثـائرة ، وثارت الامة كلها في يوم واحد وقبضوا على ضباط النمسا ، وفتحوا السبيل لجندها الى الهرب ، ورشوا بعضهم بالمال فكانت ثورة بلجيكا اشبه بثورة سلمية لم تتمكن معها النمسا من انجاد حاميتها في البلجيك لبعد المواصلات في ذاك العهد . ثم ساعدت فرنسا وانكلترا البلجيكيين على أمانيهم ، لان انكلترا لا تحب ان تكون سواحلها أمام سواحل دولة قوية ، وكذلك فرنسا لاتحب ان تجاور دولة مشاكسة .

استندت مؤلفة هذا الكتاب في تأليفها الى وثائق سياسية يصعب على كل باحث الوصول اليها ولذلك حاز عملهـا استحسان المجمع العلمي الملوكي في بلجيكا الذي نشكر له هديته النفيسة .

م . ك

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

مقاييس اللغة

« لابن فارس »

—*—

أول من فكر في وضع معجم لغوي على ترتيب يسهل معه تناول كلمات اللغة هو الامام الخليل بن احمد في كتابه الذي سماه (العين) · لكن وُجد في نسخ هذا الكتاب تخليط وخلل حمل الناس على الشك في نسبته اليه · حتى قام ابن دريد فوضع كتابه (الجمهرة) فمالوا اليها · وعوّلوا في الاستفادة عليها · ووُجد في علماء اللغة من ينافس ابن دريد في عمله · وينال منه ومن كتابه · فكانت هذه المنافسة بينهم مغرية لهم على وضع معاجم أخر أتم وأكمل من (الجمهرة) و (العين) · فألفوا (المُوعَب) و (العُباب) و (الجامع) و(البارع) و (المُحكم) و (المُجمل) و (الصحاح) و (التهذيب) وغيرها · بحيث لم ينته القرن الرابع حتى أرسل بعض الملوك الى الصاحب بن عباد يسأله القدوم عليه · فكتب معتذراً اليه : (أحتاج الى ستين جملاً أنقل عليها كتب اللغة التي عندي) غير ان السيوطي (حوالى الالف للهجرة) ندب هذه الكتب وتأسف على فقدها وقال : (ان الكتب الموجودة الآن في اللغة من تصانيف المتقدمين والمتأخرين لا تجيء حمل جمل واحد) فأين ذهب حمل التسعة والخمسين جملاً ؟ ذهبت بها حروب التتار في مشرق بلاد الاسلام · وحروب الاسبانيول في غربها · وحروب الصليبيين في وسطها · وها أنا ذا الآن أقرأ كتاب (الاعتبار) لأسامة بن منقذ فأسمعه يوبخ (بلدوين الثالث) ملك القدس على غدره بأهل أسامة وأولاده الذين أعطاهم الأمان في طريقهم من مصر الى دمشق · فلما وصلوا الى عكا أمر الملك بكسر البطسة[1] بالفؤوس وفتش النساء وسلب جميع ما في البطسة ولم يُبق لركابها الخمسين نفساً سوى خمسمائة دينار وصلوا بها الى

(١) البطسة نوع من السفن ·

دمشق . بجمل الملك نور الدين الشهيد يهوّن الامر على أسامة . و يهنئه بسلامة أولاده ونسائه . فصبر أسامة على خسارة ثلاثين الف الدينار صبر الكرام . ثم قال : (الاما ذهب لي من الكتب فانها كانت اربعة آلاف مجلد من الكتب الفاخرة فان ذهابها حزازة في قلبي ما عشت) .

وكان علماء اللغة يخوضون في تصانيفهم مناحي مختلفة ما بين مطوّل ومختصر . وعام في انواع اللغة . وخاص بنوع منها .

واكثر تصانيف اللغة تداولاً في الأيدي وأقربها تناولاً من الأذهان كتب المعاجم التي تسرد مفردات اللغة مرتبة ثم تذكر إزاء كل كلمة معناها . اما التصانيف الأخرى التي توضع في فلسفة اللغة او في بيان أسرارها وغوامضها او في نوع خاص من أنواعها ومباحثها كالكتاب الذي ألفه الأصمعي في الأجناس . وكتاب النوادر لابي زيد وكتاب الغريب لابي عبيد القاسم بن سلام وغيرها — فان أمثال هذه الكتب تنحصر فائدتها بعلماء اللغة المتبحرين فيها . المتوفرين على اقتصاء شواردها . ومن ثم تقل نسخها في الايدي . وتنقطع من الأسواق . ولا يكاد يوجد منها الا نسخ معدودة في دور الكتب العامة او الخاصة ببيوتات العلم .

http://Archivebeta.Sakhrit.com

ومن طرائف الابحاث اللغوية البحث المتعلق بتاريخ اللغة مذ كانت في مهد نشأتها حتى استوت على سوقها وتشعّبت فروعها . و ينطوي في ذلك شرح خصائصها التي تمتاز بها على سائر اللغات والتنويه بالعلماء الذين توفروا على خدمتها بمختلف المصنفات .

هذا الفن هو الذي أحسن المعاصرون ترتيبه وتبويبه وسموه علم تاريخ آداب اللغة . والكتب التي ألفها علماؤنا فيه قليلة جداً : أشهرها في القديم (فهرست ابن النديم) وأشهرها في الحديث (مزهر السيوطي) .

ومن طريف مباحث اللغة البحث المتعلق بانساب اللغة وتولد كلماتها من أصل واحد . فالاصل الواحد بمثابة الأم والمشتقات المختلفات المعاني بمثابة السلالة فيتألف من المجموع أسرة واحدة هي (الاسرة اللغوية) ومنها تتكون اللغة كما تتكون الامة من أسرها .

هذا البحث من أدق مباحث اللغة . ولا يجيد فيه الا القليلون من علمائها بل لا يجيد فيه الا من تمكن من علمي الصرف والاشتقاق كما يُلمح مما قالوه في ترجمة (ابن جني) امام هذا

الفن — فن السلالات اللغوية — قالوا (انه كان في التصريف إماماً لا يشق له غبار) .

وابن جني في الواقع ونفس الامر هو ابن بجدة هذا الفن . ولم يجر معه فيه الا ابن فارس أحد أئمة اللغة المشهورين وكانا في عصر واحد — عصر النهضة العربية الزاهر — عصر المتنبي والصاحب بن عباد — فقد توفي ابن جني سنة ٣٩٣ هـ وابن فارس سنة ٣٩٥ هـ وألف ابن جني في هذا الفن كتابه (الخصائص) كما ألف ابن فارس كتابه (مقاييس اللغة) بيد أن ابن جني يبحث في كتابه عن (الاسرة اللغوية) من جهة تولد ألفاظها وتشعب تراكيبها تصريفاً واشتقاقاً . إعراباً وبناء .

أما ابن فارس في مقاييسه فقد جعل معاني الكلمات أساساً تبحث في تشعبها وتناسلها وتولد بعضها من بعض .

وهذان الامامان في المتقدمين كالمرحوم (احمد فارس الشدياق) في المتأخرين المعاصرين: فقد ألف احمد فارس كتاباً ممتعاً في تكوّن (الأسر اللغوية) سماه (سر الليال في القلب والإبدال) حذا فيه حذو (احمد بن فارس) في مقاييسه حذو القذة بالقذة . فكانا فارسي هذا الميدان اسماً ولقباً . كما كانا فارسيه تجويداً في الموضوع وتهذيباً .

والكتابان (الخصائص) و (سر الليال) طُبعا . وتداولتهما ايدي الفضلاء . أما ثالثها (مقاييس اللغة) فلم نر له أثراً مخطوطة دع عنك المطبوعة . وان كان المرحوم (جورجي زيدان) قال لنا في كتابه تاريخ الآداب العربية (انه اليوم يطبع في مصر) لكننا لم نر أثراً لهذه الطبعة فلعلهم هموا ولم يفعلوا .

ومؤلف (المقاييس) احمد بن زكريا بن فارس الرازي من أئمة اللغة وكبار مؤلفيها . وكان الصاحب بن عباد يكرمه ويتتلمذ له ويقول : « شيخنا ابو الحسين ممن رُزق حسن التصنيف . وقد أمن فيه من التصحيف » .

وترجم له ياقوت في معجمه (جزء ٢ ص ٦) وعدد له من المصنفات نحو خمسة وعشرين كتاباً أشهرها (المجمل) الذي قال في اوله « قد ذكرنا الواضح من كلام العرب والصحيح من دون الوحشي المستنكر » وقال في آخره مبيناً السبب في تسميته بالمجمل (قد توخيت فيه الاختصار . واقتصرت على ما صح عندي سماعاً . ومن كتاب صحيح النسب مشهور »

يعني انه لم يودع كتابه من كلمات اللغة الا كلمة سمعهـا من لغوي ثقة ٠ او اقتبسها من كتاب ثقة ٠

اما كتابه (مقاييس اللغة) فقد كدنا نشك في ان يكون له لان بعض من كتب سيرته لم يذكر نسبة هذا الكتاب اليه : فابن خلكان مثلاً لم يذكره في جملة مصنفاته ٠ والمرحوم (زيدان) لم يذكره ايضاً في جملتها وانما ذكره في محتويات مكتبة (آل كاشف الغطا) في النجف ولم ينسبه الى مؤلف ما وبعد سطر قال « ان من محتويات تلك المكتبة كتاب المجمل لابن فارس » فهذا يدل على انه كان يجهل مؤلف كتاب المقاييس ٠

وبينا كنا في حيرة من امر هذا الكتاب اذا نسخة منه مصورة بالفوتوغراف تعرض على مجمعنا العلمي فتجددت لنـا الرغبة في زيادة الاستيثاق من امر نسبة هذا الكتاب الى (ابن فارس) فلم نلبث ان ظفرنا بنسبته الصريحة اليه في كتاب (معجم الادباء) ليـاقوت فقد عده في جملة مؤلفاته وقال « انه كتاب جليل لم يصنف مثله » ٠ وزادنا ايماناً بهذه النسبة ما ذكره السيوطي في كتابه (المزهر) «جزء١ ص ٢٨٦ طبعة الرافعي سنة ١٣٢٥ هـ » مذ تكلم على النحت ونقل فصلاً من كتاب (فقه اللغة) لابن فارس قد ختمه بقوله « وقد ذكرنا ذلك بوجوهه في كتاب مقاييس اللغة » فلم نبق شبهة في امر نسبة الكتاب اليه ٠

اما مخطوطات (المقاييس) فقد علمنا من الاستاذ (زيدان) ان منه نسخة في مكتبة (آل كاشف الغطاء) وعلمنا من احد الفضلاء ان في ايران ثلاث مخطوطات منه : واحدة في مكتبة الشاه ٠ وأخرى في مكتبة نصيرالدولة احد وزراء ايران السابقين ٠ والثالثة في طهران في مكتبة مدرسة المروي ٠ والمروي هذا هو احد وزراء (فتح علي شاه) وهي التي اخذت عنها الصورة الفوتوغرافية وعرضت على مجمعنا فلم نتردد في شرائها ٠ وتزيين المكتبة بها ٠

وقد نقبنا عن نسخة خامسة لهذه النسخ الاربع فلم نجد : نقبنـا في فهارس مكاتب اوربا ومصر والاستانة فلم نجد شيئاً ٠ حتى ان فهرست مكتبة برلين لم يذكر مقاييس اللغة مع انه ذكر طائفة من مصنفات احمد بن فارس ٠

والنسخة المصورة عن نسخة مكتبة المروي تبلغ (٧٧٩) صفحة ، وهي بقطع دون المتوسط وخطها من النسخي الحسن الصغير الحروف وفي الصفحة الواحدة (٢٧) سطراً ، وقد ختمها ناسخها بقوله : « قد وقعت الفراغة من كتابة كتاب المقاييس اللغة (كذا) » وتحته ختم جميل الشكل فيه ثلاثة أسطر مكتوبة بخط فارسي انيق هكذا « وقف ، محمد حسين علي ، مدرسة الفخر الطهران (كذا) » ولم يذكر كاتب النسخة اسمه في آخرها ولا اسم البلد التي كتبت فيها ولا تاريخ كتابتها ، ويظهر من نسق الخط وأشكال حروفه ان النسخة كتبت بعد الألف للهجرة ، وكنا نتصفح فصولاً منها فنجد أحياناً تحريفاً وتصحيفاً لكنه قليل ، يظهر ذلك من النموذجات التي عزمنا على اقتباسها من الكتاب ونشرها تباعاً في مجلة المجمع ، ونبدأ بخطبة المؤلف وقد سلك فيها مسلك الايجاز كما هي عادة المؤلفين الأقدمين فقال :

بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله ، وبه نستعين ، وصلى الله على محمد وآله أجمعين ، قال احمد أقول وبالله التوفيق ، ان للغة العرب مقاييس صحيحة ، واصولاً تتفرع منها فروع ، وقد ألف الناس في جوامع اللغة ما ألفوا ولم يعربوا في شيء من ذلك عن مقياس من تلك المقاييس ، ولا أصل من تلك الأصول ، والذي أومأنا اليه باب من العلم جليل ، وله خطر عظيم ، وقد صدرنا كل فصل باصله الذي يتفرع منه مسائله حتى تكون الجملة الموجزة شاملة للتفصيل ، ويكون المجيب عما يسأل عنه مجيباً عن الباب المبسوط باوجز لفظ وأقربه ، وبناء الأمر في سائر ماذكرناه على كتب مشتهرة عالية تحوي اكثر اللغة : فأعلاها وأشرفها الخ ، ثم ذكر المؤلف الكتب التي اعتمد عليها وهي خمسة : (١) كتاب العين للخليل بن احمد ، (٢) كتاب غريب الحديث لابي عبيد (٣) كتاب مصنف الغريب له ايضاً ، (٤) كتاب المنطق لابن السكيت ، (٥) كتاب الجمهرة لابن دريد ، ثم قال : فهذه الكتب الخمسة معتمدنا فيا استنبطناه من مقاييس اللغة وما بعد هذه الكتب فمحمول عليها وراجع اليها ، حتى اذا وقع الشيء النادر نصصناه الى قائله» ، ثم شرع في مباحث كتابه فافتتحه بباب الهمزة وما بعدها ، وقد رأينا ان نقارن بين ماقاله احمد بن فارس في الهمزة والباء ، وماقاله احمد فارس فيهما في كتابه (سر الليال) ليتبين القاريء وحدة موضوع كتابيهما وتشابه طريقتهما في بحثهما ، وهذان هما :

مقاييس اللغة

— لاحمد بن فارس —

باب الهمزة

« في الذي يقال له المضاعف »

إعلم ان للهمزة والباء في المضاعف أصلين احدهما (المرعى) والآخر (القصد) والتهيؤ ، فأما الاول فقول الله عز وجل : (وفاكهة وابًّا) قال ابو زيد الانصاري : لم أسمع للابّ ذكراً الا في القرآن . قال الخليل وابن[1] زيد الأب المرعي بوزن فعل وانشد ابن دريد شعر :

(جذمنا قيس ونجد دارنا
ولنا الأبّ به والمكرع)

وأنشد شُبيل بن عزرة لابي داود شعر :

(يرعى بروض الحزن من أبّه
قربانه في عانة تصحب)

اي تحفظ ، يقال صحبك الله اي حفظك قال ابو اسحق الزجاج (الأب) جميع الكلأ الذي تعتلفه الماشية كذى (كذا) روي عن ابن عباس (رضي الله عنه) . فهذا اصل . واما الثاني: فقال الخليل وابن دريد الاب مصدر أبّ فلان الى سيفه اذا رد يده اليه

(١) كذا في الاصل ولعل صوابه ابن دريد او ابو زيد .

سرّ الليال

— لاحمد فارس —

أب

ذكر المصنف أولاً عبارة صاحب القاموس في معاني مادة (أب) المختلفة ثم أتبعها بقوله :

« قلت : كان يجب عليه ان يجمع معاني الفعل كلها في موضع واحد . وعندي ان اول هذه المعاني أبّ الشيء حركه وهو حكاية صوت ونحوه هب وهف لحركة الريح وخبّ لعدو الفرس وحف لصوت ركضه وقب لصوت ناب الفحل وعب لصوت جرع الماء . وأبّ للسير اي تهيأ من معنى الحركة ونحوه عبأ المتاع والأمر هيأه . وجاء ايضاً أهب للامر وتأهب اي استعد . ومن هذا المعنى قيل : أبّ هزم بحملة والى وطنه اشتاق وجاء الوب التهيؤ للحملة في الحرب كالوبوبة ونحو أبّ أبّه أمّ أمّه وهم همه وأمّ قصده ويممه . و(الأبّ) للكلأ من معنى القصد . ولك ان تقول انه من معنى الحركة المقرونة بالاشتياق اذ هو عند العرب من اعظم ما يشتوق اليه ولهذا قال تعالى (ثم شققنا الارض شقاً فأنبتنا فيها حباً) الى قوله تعالى (وفاكهة وأبا) وقال ايضاً (وانزلنا من المعصرات ماء

لبستله ، الأب في قول ابن دريد النزاع الى الوطن ، والأب في روايتهما التهيؤ للسير وقال الخليل وحده : أبّ هذا الشيء اذا تهيأ واستقامت طريقته ابابةً وانشد للاعشى :

(صرمت ولم اصرمكموا وكصارم
أخ قد طوى كشحاً وأب ليذهبا)

وقال هشام بن عتبة في الابابة شعر :

(وأب ذو المحضر البادي أبابته
وقوضت نيّة أطناب تخييم)

وذكر ناس ان الظباء لا ترد ولا يعرف لها ورد . قالوا : ولذلك قالت العرب في الظباء : ان وجدت فلا عباب وان عدمت فلا أباب : معناه ان وجدت ماءً (ماء) لم تعبّ فيه وان لم تجده لم تأتب لطلبه والله أعلم بصحة ذلك . والأب القصد يقال : أبدتُ أبّه وامت أمّه وحمت حمّه وحردت حرده وصمدت صمده قال الراجز يصف ذئباً شعر :

(مرّ مدلّ كرشاء الغرب
فأبّ أبّ غنمي وأبّي)

اي قصد قصدها وقصدي اه .

نجاجاً فأنبتنا فيها حباً ونباتا) وجاء العمّ بمعنى العشب . وجعل ابن فارس الابّ من معنى التهيأ : قال لانه يعد زاداً للشتاء والسفر كما في المصباح . ومن معنى القصد والاشتياق ايضاً جاء الأباب بمعنى الماء وهو بالفارسية احد شطري اللفظ العربي اعني آب . فاما اطلاقه على السراب فمن تسمية المكروه بما يستحب كقولهم نام اي مات وله نظائر كثيرة ويظهر مما سيذكره المصنف في (عبّ) ان الأباب ايضاً مصدر أبّ اي تهيأ ونحو الأباب بالضم لمعظم السيل والموج العباب لمعظم السيل . وماء عبام اي كثير . وابّت ابابته بالفتح والكسر من معنى القصد والتهيأة اذ كان للقصد معنيان اعني الأم والاستقامة وهذا من اسرار العربية فتأمله . ومن معنى التهيأة : ابّ يده الى سيفه وهو في ابابه وابب بمعنى صاح حكاية صوت ومثله هبّ بالتيس دعاه الخ .

* * *

هذا وفي الجزء التالي من المجلة ننقل للقارئ من المقاييس نموذجات أخرى توضح غايته وتبين طريقته .

« المغربي »

اول عهدي بالجاحظ[1]

- ٢ -

كان حقاً عليّ بعد ان فرغت من الكلام على ابي الطيب المتنبي وهو اول شاعر حفظت من شعره في حداثة السن ما يصقل الخيال ويشحذ العاطفة و ينبه الشعور ان ابدأ بالكلام على عبدالله بن المقفع وهو اول كاتب استظهرت من كلامه ما يعين على تقويم البيان وصحة التعبير وجودة السبك ، فما استضأت الا بضيائه ولا استرشدت الا برشده ، انه الكاتب الذي صلحت أساليبه لكل دهر ، واظن ان كثيراً من المتأدبين استعانوا بابن المقفع على صناعة الترسل ، على اني لا أرى ان يقتصر المتأدب على كاتب واحد فلا يغرف الا من بحره ، وانما أرى ان ينتقل من كاتب الى كاتب دون شيء من التقيد فاذا فعل هذا استطاع ان يأخذ من كل كاتب ما يطيب و يقتبس عنه ما يحسن حتى يصبح صاحب أسلوب ينفرد به .

ثم كان حقاً عليّ ان ارجع الى الآثار التي ابقاها ابن المقفع في خاطري فابعث هذه الآثار من مراقدها ولكني لا أدري ما الذي حملني على إيثار الكلام على الجاحظ ، افآثرت هذا الكلام لان الجاحظ أبعد مذاهب وأوسع آفاقاً فان الباحث يجد في نواحيه مجال القول ذا سعة ولكن هل يجد لساناً قائلاً واي لسان يحيط بوصف الجاحظ واي بحث يفضي بصاحبه الى تصوير عبقريته بمجامعها ، وكيف كان الامر فقد عولت على ان امضي القول في الجاحظ في سنتنا هذه ، وقبل ان أحاضر بشيء من هذه الناحية رأيت ان استثير الذاكرة حتى اقول لكم : كيف اتصلت بالجاحظ وكيف ذهبت في الولع به كل

---

(١) سلسلة المحاضرات التي القاها في كلية الآداب في دمشق الاستاذ شفيق بك جبري عضو المجمع العلمي العربي ومدير الكلية المذكورة .

مذهب وقد يفتح لكم رجوعي الى الماضي باباً من ابواب الجاحظ تعرفون منـه اليسير من خصائص عبقريته فيستنهضكم هذا اليسير من اليوم لمطالعة فصوله واملاء خواطركم من طرائفها ولطائفها ٠

من عشر سنين اشتريت كتاب (الكامل) للمبرد وعلى هامشه فصول مختارة من كتب ابي عثمان قرأت اول هذه الفصول وهو مقتطف من كتابه في الحاسد والمحسود وقد فتنت بهذا الفصل الفتنة كلها حتى وصلت الى قوله :

« وما لقيت حاسداً قط الا تبين مكنونه بتغير لونه وتخوص عينـه واخفاء سلامه والاقبال على غيرك والاعراض عنك والاستثقال لحديثك والخلاف لرأيك » ٠

فاستوقفني هذا الكلام فقلت في نفسي : ما اعلم صاحبه بطبيعة البشر ، ما الصقه بمداخلهم ومخارجهم ، ما اكشفه لاغطية قلوبهم يكاد لا يخفى عليه شيء مما تشتمل عليه جوانحهم، انه لشديد التدقيق يقرأ على صفحات الوجوه ما كتب في اعماق الصدور ٠ ثم لما وصلت الى صفات الحاسد وهي : تغير اللون وتخوص العين واخفاء السلام وما شابه ذلك قلت في نفسي : لا يخلو الجاحظ من ان يكون محسوداً في عصره حتى كان يقع نظره على حاسده فيتأمل في وجهه ، ومن منا لا يعرف الحاسد ، ومن منا لم ير تخوص هذه العين وتغير هذا اللون في كل يوم ، لقد قلت في نفسي لا يخلو الجاحظ من ان يكون محسوداً في عصره حتى كان الصيف المنصرم وقد عكفت على مطالعة كتبه ابتهاجاً لي الكلام عليه فمن الكتب التي طالعتها : كتاب المحاسن والاضداد والبكم ماجاء في مقدمة هذ الكتاب فلا بأس بان اتلو عليكم هذا الكلام حتى تأنسوا من اليوم بكلام الجـاحظ وتألفوا طراز انشائه قال ابو عثمان :

اني ربما الفت الكتاب المحكم المتقن في الدين والفقه والرسائل والسيرة والخطب والخراج والأحكام وسائر فنون الحكمة ,وانسبه الى نفسي فيتواطأ على الطعن فيهم جماعة من اهل العلم بالحسد المركب فيهم وهم يعرفون براعته وفصاحته واكثر ما يكون هذا منهم اذا كان الكتاب مؤلفاً لملك معه القدرة على التقديم والتأخير والحط والرفع والترهيب والترغيب فانهم يهتاجون عند ذلك اهتياج الابل المغتلمة فان امكنتهم الحيلة في اسقاط ذلك الكتاب عند السيد الذي ألف له فهو الذي قصدوه وارادوه ، وان كان السيد

المؤلف فيه الكتاب نحريراً نقاباً ونقريساً بليغاً وحاذقاً فطناً واعجزتهم الحيلة سرقوا معاني ذلك الكتاب والفوا من اعراضه وحواشيه كتاباً واهدوه الى ملك آخر ومشوا اليه به وهم قد ذموه وثلبوه لما رأوه منسوباً اليّ وموسوماً بي ... وربما الفت الكتاب الذي هو دونه في معانيه والفاظه فأترجمه باسم غيري واحيله على من تقدمني عصره مثل ابن المقفع والخليل وسلم صاحب بيت الحكمة ويحيى بن خالد والعتابي ومن اشبه هؤلاء من مؤلفي الكتب فيأتيني اولئك القوم باعيانهم الطاعنون على الكتاب الذي كان احكم من هذا الكتاب لاستنساخ هذا الكتاب وقراءته عليّ ويكتبونه بخطوطهم ويصيرونه اماماً يقتدون به ويتدارسونه بينهم ويتأدبون به ويستعملون الفاظه ومعانيه في كتبهم وخطاباتهم ويروونه عني لغيرهم من طلاب ذلك الجنس فتثبت لهم به رياسة يأتم بهم قوم فيه لانه لم يترجم باسمي ولم ينسب الى تأليفي ...

لما قرأت هذه المقدمة سهل عليّ ان ادرك السر في ابداع الجاحظ في وصف الحاسد وفهمت حينئذ ماقاله احد كتاب الفرنجة الكبار : روّض قلمك على كتابة اشياء شعرت بها ، فالجاحظ ابدع في وصف الحاسد ومعظم هذا الابداع ناشيء عن انه وصف شيئاً كان يشعر به ويعوذ بالله من شره ولم نجد الفرق في التأثير بين الكتاب مثلاً او بين الشعراء ، اني اعتقد ان هذا الفرق انما مصدره في الأغلب من الأحوال قوة الشعور وضعفه او صدقه وكذبه .

ولكن هل فضلت الكلام على الجاحظ في سنتنا هذه لانه برّز في وصف الحاسد فلو كان الامر كذلك فما اضيق مذاهب الجاحظ ؟

فلنستثر الذاكرة مرة ثانيـة ، كنت في هذا الصيف أطالع كتاباً فرنسياً اسمه (الطريقة الادبية) تكلم صاحب هذا الكتاب على خطاب خطبه (رنان) في السوربون في ٢٩ آذار سنة ١٨٨٨ قال صاحب الكتاب وهو يعني (رنان) :

لقد بيّن الخطيب ان روح الاسلام الحقيقي انما هو مخالف للعلم ولئن نشأ في العالم الاسلامي من القرن الثامن الى القرن الثـالث عشر اصحاب فكر واهل عقول راجحة فهذا سببه ان الاسلام في تلك العصور لم ينبسط سلطانه بعد فان الخلفاء اللامعين الذين كانوا في عصر (الكارولنجيان) لم يتكامل اسلامهم وفلسفة اليونانيين العقلية هي التي اضاءت

على هدم وكذلك الامر في الاندلس على زمن ابن رشد فقد كان اليونانيون وحدهم ينبوع العلم فالنهضة لم تكن عربية ولا اسلامية وفي اليوم الذي اشتد فيه الاسلام اي من بعد سنة ١٢٧٥ بوجه التقريب انحطت عقول المسلمين انحطاطاً يؤسف ويحزن ثم ذكر صاحب هذا الكتاب كلاماً لرنان وهذا هو :

« ان الذي يميز العالم الاسلامي انما هو اعتقاد المسلمين ان البحث لاطائل فيه ولا شأن له وانه قد يؤدي الى الكفر ، فعلم الطبيعة يؤدي الى الكفر لان هذا العلم ينازع الله سلطانه ، وعلم التاريخ يؤدي الى الكفر لانه اذا امتد الى العصور التي جاءت قبل الاسلام احيا اضاليل قديمة ، فمنتقدات هذا شأنها تؤدي الى النتائج الآتية : اي بعجيج خمول الذهن وقلة المبالاة من الفضائل فكمة : والله اعلم انما هي فصل الخطاب في كل مناظرة اسلامية » .

قرأت هذا الكلام وقلت في نفسي أصحيح ان الاسلام حال دون العلم حتى تغلغلت في كتب الجاحظ وقرأت كتاب (الحيوان) من اوله الى آخره فاهتديت فيه الى أساليب في تحقيق صاحبه وتجريبه في امور العلم يحار فيها الانسان فكأن الجاحظ عالم من علماء الحيوان فلا يمر بامر من امور الحيوان سواء أكان هذا الامر صغيراً ام كان كبيراً الا اهتم به ويكفيني في مثل هذا المقام ان اذكر لكم كلمته في التحقيق العلمي وهي تجمع لنا كل مذهبه : ليس يشفيني الا المعاينة ، واظن ان الكلام على هذا التحقيق سيطول فأرجئه الى حينه وهذه ناحية من نواحي الجاحظ الجليلة الشأن فان كلمة مثل هذه الكلمة : ليس يشفيني الا المعاينة انما هي كلمة خالدة في علم الطبيعة وهل علوم الطبيعة الا نتائج المعاينة والتجريب والفرض والمقابلة والتصنيف .

ولم لا أذكر لكم من اليوم أسلوباً من أساليبه في التحقيق حتى تقارنوا بينه وبين علماء الحيوان في عصرنا هذا وحتى تقولوا في انه كم أجهدكم ابو عثمان من هؤلاء العلماء . قال وهو يصف الظليم .

باب آخر وهو عندي اعجب من الاول وهو ابتلاعه الجمر حتى ينفذ الى جوفه فيكون جوفه هو العامل في اطفائه ولا يكون الجمر هو العامل في احراقه ، واخبرني ابو اسحق ابراهيم بن سيار النظام وكنا لا نرتاب بحديثه اذا حكى عن سماع اوعيان انه شهد محمد بن

عبد الله يلقي الحجر في النار فاذا عاد كالجمر قذف به قدامه فاذا هو يبتلعه كما يبتلع الجمر وكنت قلت له ان الجمر سخيف سريع الانطفاء اذا لقي الرطوبات ومتى اطبق عليه شيء يحول بينه وبين النسيم خمد والحجر اشد امساكاً لما يتداخله من الحرارة واثقل ثقلاً والزق لزوقاً وابطأ انطفاء فلو احميت الحجارة فأحماها ثم قذف بها اليه فابتلع الاولى فارتبت به فلما ثنى وثلث اشتد تعجبي له فقلت له لو احميت اواقي الحديد ما كان منها ربع رطل ونصف رطل فعل فابتلعه فقلت هذا اعجب من الاول والثاني وقد بقيت علينا واحدة وهو ان ننظر أيستمري الحديد كما يستمري الحجارة ولم يتركنا بعض السفهاء واصحاب الخرق ان نتعرف ذلك على الايام وكنت عزمت على ذبحه وتفتيش جوفه وقانصته فلعل الحديد يكون قد بقي هناك لا ذائباً ولا خارجاً فعمد بعض ندمائه الى سكين فأحمي ثم القاه اليه فابتلعه فلم يجاوز اعلى حلقه حتى طلع طرف السكين من موضع مذبحه ثم خر ميتاً فمنعنا بخرقه من استقصاء ما اردنا ·

فيتبين لكم مما رويته ان الذي يشغل بال الجاحظ انما هو الاستقصاء وهل الاستقصاء خارج عن لوازم العلم فالذي يهم العالم انما هو التنقيب عن الحقيقة ·

فقد يكون الجاحظ حجة يحتج بها من يريد ان يثبت ان في العرب علماء وانما عصرهم غير عصرنا وادوات تحقيقهم هي غير ادواتنا ولو اطرد العلم في ديارهم لبلغ المبالغ ·

ولكن هل آثرت الكلام على الجاحظ لناحيته العلمية او لناحيته الفلسفية فأين نواحيه الأدبية الخالدة على تراخي الأحقاب وما كان هذا العلم وما كانت هذه الفلسفة لولا ادب ابي عثمان · ما زلت اقلب النظر في كتب الجاحظ وانا لا ازداد تقليباً الا ازددت له تهيباً وبه اعجاباً حتى وصلت الى شيء من نواحيه الادبية واعجبها وافتنها انما هي هذه اللغة التي القت اليه طاعتها فصرّفها في كل شيء : فاذا كتب في العلم اجرى قلم العلماء واذا كتب في الفلسفة بنى على اصول الفلاسفة واذا كتب في الأدب كتب على اساليب الادباء وعلى مناحيهم وهذه القدرة على اللغة هي التي اوحت اليه مذهبه الأدبي الذي قال فيه : ولكل صناعة الفاظ قد حصلت لاهلها بعد امتحان سواها وقبح بالمتكلم ان يفتقر الى الفاظ المتكلمين في خطبة او رسالة او في مخاطبة العوام والجار او في مخاطبة اهله وعبده وامته او في حديثه اذا حدث او خبره اذا خبر وكذلك من الخطأ ان يجلب الفاظ الاعراب والفاظ العوام وهو في صناعة الكلام داخل ولكل مقام مقال ولكل صناعة شكل ·

فان الرجل الذي يقرر مثل هـذا المذهب الأدبي لا بدّ له من ان يطالب نفسه به اذا كتب والجاحظ قرره وطالب به نفسه .

هذا هو اول عهدي بالجاحظ وهذا هو شيء من الآثار الاولى التي بقيت في البال من قراءة كتبه ولو شئت ان استقصي هذه الآثار لامتد الكلام فما سعة لغته بشيء اذ قسناها الى قدرته على تصوير جلائل الموضوعات وصغائرها فستدركون بعد قراءة كتبه انه لا يتعاظمه شيء من الموضوعات واظن ان القدرة على تصوير صغائر الامور كامور الاكل والشرب واللبس وسائر ما يتعلق بحياتنا الخاصة لا تقل عن القدرة على تصوير اكابر الامور واذا قرأتم غداً كتابه في البخلاء تبينت لكم هذه القدرة على تصوير الدقائق من حياتنا الخاصة وما مرادي في هذه المحاضرة ان أشبع القول في الجاحظ وخصائصه فمثل هذا العمل يستوعب سنتنا كلهـا وانما غايتي كما قلت لكم ان اصف لكم اول اتصالي بكتبه واول املاء الخـاطر من آثاره ولقد فرغت من قراءة هذه الآثار وفي البال خاطر واحد لا إنساه وهو اني ما قرأت سطراً من اي كتاب من كتبه الا استوقفتني قراءته وحملتني على التفكير فاذا اردتم ان تحيطوا بشيء من عبقرية لغتنا فبادروا الى كتب الجاحظ التي تعلم العقل اولاً والأدب ثانياً [1] وسأذكر في المحاضرة الآتية نواحيه التي سأمضي القول فيها .

في ٦ كانون الاول سنة ١٩٣٠

---

(١) كلمة ابن العميد .

نواحي الجاحظ

- ٣ -

ذكرت لكم اول عهدي بالجاحظ ووعدتكم ان أفصّل نواحيه التي هيأت الكلام عليها في سنتنا هذه ولمّ لا أشير من اليوم الى اول اثر من الآثار التي أبقتها في نفسي دراسة كتبه فقد جمعت ذهني وتفرغت لإعداد ما أحاضر به فما أعظم حيرة حرتها وما اشدّ دهشة دهشتها بعد النظر في فصول ابي عثمان انه يخرج من باب الى باب ومن شكل الى شكل ، قد حشدت له المعاني من اقطارها وصبّت اليه الافكار بازمتها يصرّفها كيف يشاء لا يخاف في تصريفها عثرة يعثرها او كبوة يكبوها فالكلام عليه بعيد الغور دقيق المذهب لا يأمن صاحبه مزلة القدم فانا أخاف ان حاولت ان أعرض عليكم جملة طرائفه ان لا اعرض شيئاً فيكون مثلي في ذلك كمثل ابن بطوطة فانه لما وصل من جبل لبنان الى مدينة بعلبك وصفها فقال[1] : وهي حسنة قديمة من اطيب مدن الشام تحدق بها البساتين الشريفة والجنات المنيفة وتخترق ارضها الانهار الجارية وتضاهي دمشق في خيراتها المتناهية وبها من حب الملوك ماليس بسواها وبها يصنع الدبس المنسوب اليها وهو نوع من الرب يصنعونه من العنب ولهم تربة يضعونها فيه فيجمد وتكسر القلة التي يكون بها فيبقى قطعة واحدة وتصنع منه الحلواء ويجعل فيها الفستق واللوز ويسمون حلواءه بالملبن ويسمونها ايضاً بجلد الفرس وهي كثيرة الالبان وتجلب منها الى دمشق وبينهما مسيرة يوم للمجد»

فأنتم تجدون ان ابن بطوطة سها عن وصف اعظم شيء في بعلبك وهو قلعتها ولم يصف في رحلته الا دبس بعلبك وابن دبس بعلبك من قلعتها التي تجلت في بنائها عظمة الانسان ولو تفرغ ابن بطوطة لوصفها لوجد مجال القول منبسطاً فليس يخطو

(١) رحلة ابن بطوطة — ص ٤٩ — مطبعة التقدم بمصر .

المرء خطوة فيها الا حارت عينه في ظواهر عظمتها ؟ فكأنما ابن بطوطة ادرك حيرته فوقف قلمه ولم يجر هذا القلم الا في ذكر صغائر الامور ٠

وانا كلما حدثتني نفسي بالكلام على عجائب الجاحظ خطر بالبال في الحال دبس بعلبك فيحار العقل في هذه العجائب و يقف القلم في وصفها فلا يجري الا في التلميح الى نوادر الجاحظ وقد ألهتني هذه النوادر كما ألهى رحالتنا دبس بعلبك فلما شرعت في إعداد ما أحاضر به تمثلت لي نادرته هذه التي قرأتها في كتاب البخلاء قال ابو عثمان[1] :

صحبني محفوظ النقاش من مسجد الجامع ليلاً فلما صرت قرب منزله وكان منزله اقرب الى مسجد الجامع من منزلي سألني ان ابيت عنده وقال : اين تذهب في هذا المطر والبرد ومنزلي منزلك وانت في ظلمة وليس معك نار وعندي لبأ لم ير الناس مثله وتمر ناهيك به جودة لا تصلح الا له فملت معه فأبطأ ساعة ثم جاءني بجام لبأ وطبق تمر فلما مددت قال : يا با عثمان انه لبأ وغلظه وهو الليل وركوده ثم ليلة مطر ورطوبة وانت رجل قد طعنت في السن ولم تزل تشكو من الفالج طرفاً وما زال الغليل يسرع اليك وانت في الاصل لست بصاحب عشاء فان اكلت اللبأ ولم تبالغ كنت لا آكلاً ولا تاركاً وحرشت طباعك ثم قطعت الاكل اشهى ما كان اليك وان بالغت بتنا في ليلة سوء من الاهتمام بامرك ولم نعد لك نبيذاً ولا عسلاً وانما قلت هذا الكلام لئلا تقول غداً : كان وكان ، والله قد وقعت بين نابي اسد لاني لو لم اجئك به وقد ذكرته لك قلت بخل به وبدا له فيه وان جئت به ولم احذرك منه ولم اذكرك كل ما عليك فيه قلت: لم يشفق علي ولم ينصح ، فقد برئت اليك من الامرين جميعاً وان شئت فأكلة وموتة وان شئت فبعض الاحتمال ونوم على سلامة فما ضحكت قط كضحكي تلك الليلة ولقد اكلته جميعاً فما هضمه الا الضحك والنشاط والسرور فيما اظن ٠ » —

لقد تمثلت لي هذه النادرة لانها تدل على روح الجاحظ فانه مطبوع على النوادر ، شيخ قد طعن في السن يشكو من الفالج طرفاً ان اكل اللبأ و بالغ بات في اسوإ ليلة وربما كانت اكلة وموتة ومع هذا كله فقد اكل ولم يبال طمعاً في الضحك والنشاط

(١) كتاب البخلاء — ص١٠٣ — مطبعة الجمهور بمصر ٠

والسرور . تمثلت لي هذه النادرة فقلت في نفسي : أفيصيبني في الكلام على الجاحظ ما اصاب ابن بطوطة في الكلام على بعلبك ، أفأغفل عن خصائص عبقريته فلا تأخذ العين الا طرفاً واحداً من اطراف هذه العبقرية . —

اي معنى لم يقم في صدر الجاحظ ، واي فكر لم يزدحم على ذهنه ، كتب في كل شيء ، في جلائل الامور وصغائرها ، فلو نظرنا في طائفة من رسائله لتبين لنا اختلاف المعاني التي صورها والافكار التي وضحها ، كتب في الأخلاق والفلسفة والدين والتأديب والاجتماع والعلم والطبيعيات والأدب وفلسفة اللغة وما شابه ذلك وليست غايتي ان استوفي الكلام على تصانيفه في محاضرتي هذه. وانما غايتي تنبيهكم من اليوم على ازدحام موضوعاته حتى تعلموا الميدان الذي جال فيه كل مجال فأول اثر من آثار دراسة كتبه حيرة يحارها المرء في خصب عبقريته فلا يعرف كيف يبدأ بالكلام على هذه العبقرية ولا كيف يفرغ من هذا الكلام ولا عجب في ذلك فان رجلاً يكتب له ان يعيش قرناً بوجه التقريب ، لم يقع في خلاله بيده كتاب الا استوفى قراءته كائناً ما كان ، ان رجلاً يكتري دكاكين الوراقين ويبيت فيها للنظر لا عجب من خصب عقله .

ولكن فلنجتهد في الخروج من حيرتنا هذه ولنتبين من اليوم النواحي التي ينبغي لنا ان نعدّ الكلام عليها .

اول هذه النواحي ترجمة الجاحظ وجملة اخباره من مبدإ حياته الى خاتمة ايامه : أين وطنه ، هل تغنى بهذا الوطن ، في اي سنة ولد ، ومن هم اهله ، وما هو نسبه ، أين حصل في صغره ، ماهي حرفة الجاحظ في مقدمة امره ، هل جمع مالاً ، هل تقلد شيئاً من عمل السلطان ، هل طمع في الخلافة ، هل عاش في نعمة ، هل كان يعتني بداره ، الى اين سافر وما هي آثار اسفاره ، من هم الذين لازمهم من اصحاب الشأن كيف كانت خاتمة حياته ، بما ذا أصيب في آخر عمره ، هل اثرت علته في شيء من كتبه ، هل ادت الى شيء من اختلال تأليفه ؟ .

فاذا وقفنا على هذا كله اخذنا باطراف الكلام على تحصيله ، اين قرأ ودرس في صباه ، من هم الاساتذة الذين اخذ عنهم ، هل اقتصر على قراءة كتب في مذاهب واحدة ام انه قرأ كتباً في مذاهب شتى ، حتى طبعت عبقريته بطابع خاص ماهي الكتب

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

التي كان يقرأها ، هل قرأ شيئاً من كتب اليونانيين هل كان يعرف الفارسية ، هل كان لاساتيذه تأثير في تنمية عقله . ما هو رأيه في بعض هؤلاء الاساتيذ .

فاذا تهيأ لنا الكلام على تحصيله شرعنا في الكلام على عصره فنظرنا في الانقلاب الادبي في هذا العصر ، من هم الشعراء الذين ذهبوا في الشعر مذاهب لم يذهبها من يقدمهم ، ثم نظرنا في الانقلاب الفكري وفي حرية الفكر ثم اشرنا الى كثرة الكتب المترجمة ككتب الهند وكتب اليونانيين ثم لمحنا الى الزندقة وكثرة الفرق الاسلامية وكثرة الأعاجم الذين خالطوا العرب والى اعتقادات الناس وبعض الخرافات كخرافات الباعة والعجائز والاعراب .

وبعد ان يتم لنا الكلام على هذه الامور كلها نتفرغ للكلام على مذهبه ، من هم المعتزلة ما هو الرأي في الثقة بدينه ، هل نجد لنا مطعناً على معتقده ، هل يميل الى العقل في امور الدين ، كيف يفسر الآيات والاحاديث ، هل يستعمل العقل في هذا التفسير ، ما هو أسلوبه في المناظرات الدينية ، هل يكره الغريب من التأويل ، هل يحمل كلام العرب على ظاهره ، هل يستعمل العلم في امور الدين ، هل يميل الى تأييد العلم بالدين ، ما هي نماذج من مناظراته ومن نقده للاحاديث وللآيات ، هل كان يشرك بين علم الكتاب والسنة وبين وجدان الخاصة واحساس الغريزة .

وكما اننا لانغفل عن الكلام على دينه فكذلك لانغفل عن الكلام على علمه ، هل كان الجاحظ عالماً ، من هو العالم ، ماالفرق بين العالم وغير العالم ، هل كان الجاحظ ينقب عن الحقيقة ماهي اساليبه في التحقيق العلمي ، هل يلجأ الى التجريب والعيان ، هل يستند في العلم الى العقل والى الحس ، هل كان يجمع بين معرفة السماع وعلم التجربة ، ما هي نماذج من مجادلاته العلمية ومن نقده العلمي ، ما هي بعض مذاهب علمية ذكرها في كتبه وهي من اجل المذاهب العلمية في عصرنا هذا مثل قانون الارث وتأثير البيئة والتلون بالوان البيئة .

ولا مندوحة لنا بعد النظر في علمه عن النظر في تهكمه ، هل كان مطبوعاً على التهكم ، هل كان يميل الى التهكم من صغره ، هل كان يخالط الذين يميلون الى الهزل ، هل كانت

نوادره في محلها ، هل تهكم على المفسرين ، ماهو الرأي في تهكمه ، المكان بتعمد الاضحاك في بعض الاحيان ، ما هو الرأي في هذا التعمد ، ما هي خصائص هذا التهكم .

واذا فرغنا من الكلام على تهكمه رجع بنا البحث الى الكلام على مذاهبه الأدبية : ماهو رأيه في الأدب المجرّد ، هل استعمل الأدب المجرد في كتاباته . ماهو رأيه في اللحن والكلام غيرالمعرب واللفظ المعدول عن جهته في باب النوادر ، ما هو رأيه في اللفظ ورأيه في المعنى ، ماهو رأيه في تفضيل اللفظ على المعنى ، ماهو رأيه في تأثير الشعر .

وبعد ان نفرغ من هذه النواحي كلها نخلص الى ناحية أسلوبه في النقد الأدبي : ما هي طبيعة النقد في عصره ، رأيه في نقد الأصمعي وابي عبيدة والأخفش ، ما هو أسلوبه في النقد الادبي ، هل كان نقده مجرداً ... أحسن فلان ... أساء فلان... هل كان يبين رأيه في بعض الاوقات ... كيف كان رأيه في بشار وابي نواس وامرئ القيس ، ما هو رأيه في زيادة الرواة والتوليد على السن الشعراء وعلماء اللغة ، ماهو رأيه في اولية الشعر الجاهلي .

ثم نشرع بعد هذا كله في الكلام على عبقريته وعلى لغته وفنه .

اما عبقريته فاننا نبحث فيها عن افكاره العامة : ما هي المعاني التي برّز فيها ، ما هي الافكار التي لم يتوسع فيها ، ما هي طبيعة عقله في هذه الافكار والمعاني ، الى اي شيء ينفذ هذا العقل ، هل يوفي المعنى حقه ، ماهو وصفه لدقائق الامور ، ماهووصفه لجلائل الامور ، ما هي نماذج من وصفه .

واما لغته فاننا ننقب فيها عن خصائصها ، ما هي خصائص لغته الادبية ولغته العلمية ولغته الفلسفية ، هل يميل الى اللغة الشعرية في العلم ام انه يميل الى المصطلحات المجردة التي لا الوان لها ، هل يميل الى المجاز ام انه يميل الى الحقيقة ، هل يستعمل لكل معنى اللفظ الذي خلق له ، هل تبعد لغته العلمية في بعض الأحيان عن الموسيقى اللفظية ، هل يستعمل المترادفات الكثيرة لتقر برالمعنى في ذهن القارئ ، هل يستعمل اللفظة وضدها تمييزاً للاشياء ، هل في بعض لغته الفاظ غامضة لانها كانت تدل على معان ثم ذهبت المسميات فبقيت الاسماء وحدها .

هذا ما نرمي في التنقيب عنه في دراستنا كتب الجاحظ وقد نزيد في مباحثنا او ننقص منها على قدر مايقتضيه المقام وانما المهم ان ندرس آثار الجاحظ من النواحي التي تصوره لنا تصويراً متكاملاً وأسلوبنا في هذه الدراسة انما هو الاسلوب الذي اتبعناه في دراسة شعر المتنبي فاننا لانتقيد باحد وانما ننظر في كتب الجاحظ فندوّن مايلهمنا اياه هذا النظر المطلق وعلى هذه الصورة نستطيع ان نطبع شعورنا بطابع خاص منسلخ من كل تقليد .

في ١٣ كانون الاول سنة ١٩٣٠

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ادبنا القومي

- ٢ -

مادة الادب المصري ومظاهره : قبل ان نتناول هذا الموضوع يجمل بنا ان نلم الماماً قصيراً بتاريخ لغة العرب في هذه البلاد . لم يكن المصريون الى الفتح الاسلامي يتكلمون العربية ولم يكن لهم بها عهد ، بل كانوا يتكلمون القبطية ، وكثير منهم كانوا يحذقون اللاتينية ، طوعاً لخضوعهم العصور الطويلة لحكم الرومان ، فلما فتح العرب مصر حملوا اليها لغتهم فياحملوا . ولم يكد يستقر لهم الامر فيها حتى انحدر اليها ، وخاصة في العهد العباسي ، صدر كبير من العلماء والادباء والكتاب ، وكما ضعف شأن الدولة العباسية ازداد اقبال هؤلاء على مصر لوفرة خيراتها واقبال غلاتها من جهة ، ولان امراءها حين طمعوا في الاستقلال بها كانوا يدعونهم ليقيموا بعلومهم وآدابهم صدر دولتهم الناشئة . بل لقد انتجع امراءها في فتاء الدولة العباسية كثير من جلة الشعراء طلباً لرفدهم او لغير ذلك كابي نواس وابي تمام . كما طلبها بعد ذلك ابو الطيب المتنبي في عهد كافور الاخشيدي .

وما كاد الأمر في مصر يستقيم لاحمد بن طولون حتى كان الأدب بلونيه (شعره ونثره الفني) قد لحل ابما لحولة وازدهر ابما ازدهار . ولكن لا يفوتك ان ذلك انما كان بين النازحين الى مصر من الأقطار العربية وعلى السنتهم . واذا كانت العربية قد شاعت في ذلك الوقت على السنة المصريين ، فالعربية التي تكفي للترجمة عن حاجات الناس في أسبابهم الدائرة ، لا للأدب الفحل ، والقول الجزل .

على ان العربيـة ظلت تغزو ألسنة المصريين انفسهم ، وتطبع ملكاتهم بطول الحكم العربي (الدولة الطولونية والاخشيدية) والمستعرب (الدولة الفاطمية والايوبيـة) وما تخلل هذه العهود حتى نجم من بين الصميم في المصريين من حذقوها وبرعوا فيهـا ، ووفوا بما نظموا وما نثروا حقوق البيان . لولا انه في مؤخرات تلك العصور جعل الادب يتجه

الى صرف القول عن كرائم المعاني الى الحرص على تجويد اللفظ ، وزخرفة الكلام وتزيينه بالتماس الوان المحسنات البديعية . وما زال الأدباء يتبارون في هذا ويجمعون له و يسرفون فيه حتى اهلكوا اوكادوا يهلكون بيان العرب .

ولا احب ان يذهب عنك في هذا المقام ان هذه الألوان من الأدب انما كانت محصورة فيمن يتكلفون الأدب ، اما جمهرة النـاس فكانوا لا يعرفون غير العامية ، وان كانت عامية معظم مادتها مشتق من العربية .

ثم كان حكم دولتي المماليك ، ولولا عنايتهم كانت بالعلم وقيام الجامع الازهر في مصر يدرس فيـه كتاب الله وحديث رسوله صلى الله عليه وسلم لعفي أثر البيان العربي من هذه البلاد ، على ان الادب في عهدهم قد ازداد ضعفه وفسولة مطالبه ، وعلى ان العامية نفسها قد تداخلها كثير من الصيغ الأعجمية .

ثم جاء الفتح العثماني فزاد اللغة بلاء على بلائها ، فما برحت تضمر وتهزل وتسف حتى اقتربت من الفناء لولا الازهر ايضاً ومايدرس فيه من كتاب الله وسنة رسوله ، وان كانت دراسة لم تصل بين النفس ومافيها من بلاغة رائعة ، ولولا دراسة جثث بالية من علوم البلاغة صرف أبلغ الجهد في تدريسها الى فلسفات لفظية ليس بينها وبين حقيقة البلاغة نسب قريب او بعيد ، ولولا ان خلفاً شبوا على ان هناك شيئاً يدعى الشعر ، وشيئاً آخر يدعى النثر جلت بهما اخطار من سبقوهم من اهل البيـان ، فتكلفوهما هم كذلك . وانك لترى المثل واضحاً بين يديك في مثل الشيخ عبدالرحمن الجبرتي صاحب التاريخ المعروف ، فلقد كان ، عالماً وابن عالم ، وكان رجلاً معدوداً عند اهل عصره في خاصة الادباء . وانه ليحتفل للكتابة في أدق الموضوعات واحقها بالتأنق في اختيار اللفظ ، وملاحمة النسج ، والارتفاع بالقول . ولقد يبلغ بعض هذا الا انه قل ان يسلم من السقوط في العامية ، بل والاستعانة باللفظة الأعجمية (تركية وغير تركية) وقل ان يسلم كذلك من تزايل الصيغ وانفكاك العبارات .

ثم كانت الحملة الفرنسية فانصرف الناس عن معالجة الذماء البـاقي من العلم والأدب الى التماس الحيل في مدافعة الغلبة ، والتحرف عن أذاهم ، ولقد علق شيء من لغتهم بحواشي لغة البلاد حتى ان الشيخ الجبرتي نفسه يذكر عن نابليون انه دعا صرة علماء مصر

وخاصة أعيانهـا على أثر انتقاض المصريين على عسكره فقال لهم فيما قال (على رواية الجبرتي) أنتم لستم (بونو) اي قوماً خياراً !!!

ثم كان عصر محمد علي الكبير، ولمحمد علي في الحياة مطالب جسام ليس بواتيه بها الا جيش عظيم، والجيش يحتاج بالضرورة الى اطباء يداوون المرضى من جنده ويضمدون جراحاتهم اذا هم أصيبوا في ميادين القتال فكان لابد له من ان يقيم مدرسة للطب ولم يكن في مصر الى ذلك العهد اطباء، فكان لابد له ايضاً من ان يدعو بالاساتذة الاطباء من الغرب. ولكن كيف الحيلة في ذلك وهم لا يعرفون العربية اذ تلاميذهم في مصر لا يعرفون على التجوز غير العربية ؟

لم يبق الا حل واحد، هو الذي وفق اليه المغفور له محمد علي باشا، وهو ان يقيم بين الاساتيذ وتلاميذهم تراجمة يؤدون الى التلامذة المصريين ما يلقيه عليهم أساتذتهم الغربيون.

وتهيأ لمحمد علي ان يعثر على هؤلاء المترجمين بين الجماعات النازحين الى مصر من السوريين والمغاربة وغيرهم من اهل الملل الشرقية المختلفة. ولم ير رحمه الله بعد ذلك مناصاً من ان يبعث بعوثاً من التلاميذ الى اوربا ليحذقوا لغاتها ويتعلموا علومها فكان من صنيعه هذا ان عقد اول صلة بين مصر ولغات الغرب.

وأنشأ محمد علي بعد ذلك مدارس أخر لتدريس علوم الحياة المختلفة، وهنا شعر وشعر من استعان بهم على هذا الاثر انه لابد من احداث حدث حتى تواتي لغة المصريين المنقطعين عن العلم الحديث بمطالب العلم الحديث، فجد رفاعة ولدات رفاعة، واعتصروا قواميس اللغة، واعتصروا معها أذهانهم حتى أخرجوا في العربية فنون المصطلحات في الطب والهندسة والفلك والزراعة وفنون الحرب وغيرها ... فعلوا هـذا على قلة الحيلة وضعف الوسيلة، فدل عملهم مهما اضطربوا فيه ومهما تعسفوا، ومهما افتاتوا على اللغة — على شدة جهد وعلى صدق عزم وعلى تهالك في سبيل العلم.

ثم جاء عصر اسماعيل، وشاعت العلوم الحديثة في البلاد فاستكرهت اللغة العربية جماعة العلماء على مراجعتها واستظهار ما ظل الدهور الطويلة مجفواً من مفرداتها وصيغها ليوافوا بها على قدر الطاقة مطالب تلك العلوم. وتم لهم من هذا قدر محمود. ولم تكن العناية

بالآداب بأقل حظاً من العناية بالعلوم ، فجمل الشعر يجود ، والنثر يرصن وتتسع مطالبه الى ان ظفر البارودي بالشعر حتى رده الى أزكى عهود العصر العباسي ، كما ظفر الشيخ حسين المرصفي والمويلحي والشيخ محمد عبده وغيرهم بالنثر الفني حتى ردوا عليه كثيراً من جمال لفظه ، وتلاحم نسجه ، وسمو أغراضه وتلون مطالبه . وما برحت هذه النهضة في اطرادها حتى اليوم . ولكن مما لا ينبغي ان يفوتك في هذا المقام ان ادراك الشعر والنثر الفني وتذوقهما ما زالا دائرين بين جماعة الادباء ، وهم بالاضافة الى السواد الأعظم أقل من القليل . اما سائر الناس فادراكهم وذوقهم في واد ، وهذا الضرب من الأدب في واد آخر .

* * *

واذا كان الأدب هو أبلغ مظاهر اللغة أدركت ان الادب العربي بدأ في مصر قوياً ، وظل كذلك دهراً طويلاً ثم لحقه الضعف ومازال يتدلى فيه حتى أشرف على الزوال . ثم انتعش وجعل يقوى حتى بلغ ماتراه في هذه الايام ، على انه في حالتي قوته وضعفه ظل فهمه وتذوقه مقصورين على جمهرة الادباء . اما السواد فلبث غارقاً في العامية في جميع هذه الأطوار حتى ليكاد يكون بينه وبين فصيح العربية تمام الانقطاع . ولعلك محاجي بان العامة وأشباه العامة هم الكثرة الغامرة في كل أمة . ومع ذلك ترام في الامم الأخرى يدركون بلاغات شعرائهم وفحول كتابهم وكثيراً ما تستريح اليها أذواقهم . فلماذا لم يجر الأمر على هذا في مصر وفي اكثر البلاد العربية الاخرى ؟

ذلك ان الفرق بين صحيح العربية ومرسل العامية في مصر وفي غير مصر أوسع منه في اكثر لغات العالم ان لم يكن في لغات العالم كلها ، حتى اذا علوت بلغتك بين العامة لم يفهموا منك كثيراً ولا قليلاً وكادوا يحسبون لولا مايشيع في كلامك من حروف الجر ونحوها ، ان لسانك انما يجري برطانة اعجمية !

ولقد بلغ من سلطان العامية في هذه البلاد ان خاصة الخاصة من العلماء واهل البيان انما يتخاطبون بها في مجالسهم ، حتى اذا انبعث احدهم لخطبة او لمحاضرة في العلم اوالأدب تكلف العربية تكلفاً ، وقل الا تزلقه العامية بسطوتها حتى في هذا المقام ، مايعصمه منها

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

شدة حرصه على تحري العربية واحتفاله لها ، اللهم الا ان يكون قد سوى من قبل كلامه وحفظه ثم راح يتلوه عن ظهر قلبه .

الى هنا حق لنا ان نزعم ان ابلغ مظاهر الأدب العربي (الشعر والنثر الفني) لم يتصل بمصر اتصالاً صحيحاً ، وانما اتصل به في كل عصر طائفة ممن يتكلفون الأدب ، وهم بالقياس الى السواد كما أسلفنا اقل من القليل .

واذا تهيأ لجماعة الشعراء والكتاب الفنيين ان يتخذوا من الأدب العربي الصريح أداة للترجمة عما يجول في نفوسهم ، ويختلج في حسهم (ولنا بعد في هذا كلام) وتهيأ لهم كذلك من يدرك آثارهم ويتذوق بلاغتهم من جماعة المتأدبين ، فان للسواد ايضاً شعوراً يعتلج ، وعواطف تترقرق ، فترى هل يكتمها في نفسه و يحبسها بين أضالعه حتى يأذن الله فيصيب حظاً من فصح العربية ليتنفس بها و يجليها على سواء ؟ اللهم ان هذا من غير الميسور ! . فلم يبق إذن غير العامية او شبه العامية مما يتصل اعلاه بادنى الأدب العربي الخالص ، يتوسل بها الى صوغ احساسه ونفض ما يجيش في نفسه من الوان العواطف .

ومن هنا عمد المصريون الى الزجل والى المواليا (وهي قديمة ترجع نشأتها الى عصر الرشيد) والى سائر أسباب الغنـاء (المذاهب والأدوار والطقاطيق) والى (الواوات) الصعيدية ، والى المقطوعات المنظومة على أقيسة لا صلة لها باوزان الشعر العربي . والى ماتسح به البداهة من ألوان التندر والمفاكهـات . والى الاحاجي (الفوازير) ثم الى النكتة البلدية (ايش معنى) وهي مصرية خالصة ولدها مخ الحشاش المصري . واخيراً الى ما يدعى الآن (بالمونولوجات) وبدأت تتسرب الى أذواق المصريين .

والحديث في منشإ كل نوع من هذه الانواع وتطوره على الزمن يحتـاج الى بحث طو يل عريض ، ولعلنا معالجوه قريباً ان شاء الله .

ولعلك آخذي باني لم أدرج بين هذه الفروع من الأدب المصري الموشحات الاندلسية وهي شائعة في أغانينا ، حتى ان من آداب الغناء المصري وتقاليده المأثورة الا يبدأ (التخت) الا بموشحة . ذلك ان طائفة المغنين انمام في الغالب من الجهال ، فيندر ان يطلقوا هذه الموشحات البديعة على حقيقتها ، فتراهم ينشدون مثلا : « كللي يا سحب تيجان

الربى بالحلي » هكذا : « كلي يا محبتي جانا الرضى بالحلي » ! . هـذا الى ان أصو تهم تختلط فيها حتى مانتبين منها غير النبرات الموسيقية ، اما الفاظها فلست بمدرك منها شيئاً . لهذا لم تتصل بافهام المصريين ولم تتسلل الى أذواقهم . ولهذا لم ادرجها في جملة آدابهم .

وهنا أحب ان التفتك الى حقيقة واقعة وهي ان العامة وأشباه العامة لم يستأثروا وحدهم بنظم آدابهم المختلفة ، بل ان كثيراً من الخاصة وخاصة الخاصة من الادباء والشعراء قد ساهموهم في هذا ، وأخرجوا البليغ الرائع من ألوان هذا الكلام . و بحسبك ان تعرف ان العالم الكبير الشيخ القوصي ، وان مولانا الشيخ عبدالرحمن قراعة ، وان المرحوم الشيخ النجار كانوا من كبار الزجالين ، ولقد كانت لهم في هذا الباب مطارحات ومداعبات كانت شغل البلد وحديثه دهراً غير قصير ، وبحسبك ان تعرف ان لشيخ الشعراء اسماعيل صبري باشـا ، ولامير الشعراء شوقي بك ، ولشاعر النيل حافظ بك (ادواراً) بديعة لا يزال يتغنى بها المغنون الى الآن . وان مما لا ولم « قدك اميرالاغصان من غير مكابر ، وورد خدك سلطان على الازاهر ، دا الحب كله أشجان يا قلب حاذر الخ » وان لثالثهم دور : « عشنا وشفنا سنين ، ومن عاش يشوف العجب ، شربنا الضنا والانين ، جعلنا لروحنا سبب الخ » واما ثانيهم فاسمع منه في هذا المطرب والمعجب على لسان عبد الوهاب وغير عبد الوهاب .

واملي لا اكون مغالياً اذا باديتك بانهم في هذا كانوا أصدق ترجمة عما يختلج في صدورهم منهم في اكثر أشعارهم ، فضلاً عن انهم أذاقوا الخاصة والعـامة مماً صدراً حلواً من منظوم الكلام .

وليسمح لي وانا في مقام على كتمان الرأي فيه ضرب من الخيانة والاجرام ، ان اكون حق صريح ، فأزعم ان هؤلاء واولئك كانوا فيمانظموا في هذه الابواب ، أصدق تعبيراً عمايجول في صدورهم ، واقدر على تجلية كل ماتنتزي به عواطفهم ، لان العامية وشبه العامية هي لغة البلد التي عاش فيها ثلاثة عشر قرناً فكان من البديه الا تختلف عن مواتاة المصري بكل مايجري أداءه في وجوه المطالب والاغراض .

ثم ، مالنا ولهذا ! أليس عندنا الآن من اهل البيان من لا يتعلق بغبارهم ، وانهم ايجهرون فصيح اللغة ويغرون كل يوم معاجمهـا و يراجعون مأثور البليغ من الصيغ العربية

ليؤدوا بها قولهم ؟ وانك لتراهم مع هذا يعتمدون الكلمة العامية اعتماداً ليخرجوا بها للناس معنىً دقيقاً يحبون ان يجلوه كاملاً على جمهرة القارئين اذا لم يكن يعوزهم في الواقع من صحيح العربية ما يؤديه !

* * *

وبعد فأحسب انه لم يبق عندك شك في ان أدبنا القومي وان كان في اصل مادته يرجع الى العربية ، كان ومابرح قائماً على العامية وشبه العامية ، فاذا انت اقتضيتني بيان الفروق بين آثار كل منهما فانظرني الى يوم الاربعاء المقبل ان شاء الله .

* * *

الادب العربي في العصر الحديث : علمت مما سلف عليك ان العربية الصحيحة الجزلة الفصيحة لبثت أدهاراً غير قصيرة في شبه قطيعة مع المصريين ، ولبث الادب العربي الخالص في هذه الفترة كذلك مع متأدبيهم ، الى ان كانت نهضة اللغة والادب في عصر اسماعيل فنجم من نجم من فحول الشعراء ومنقدمي الكتاب في طفرة او ما يشبه الطفرة . وليس معنى هذا ان معاصري البارودي اذذاك بلغوا مبلغه اوتعلقوا بغباره ، ولا ان المترسلين من معاصري من ذكرنا من جلة الكتاب قد شاكلوهم او جروا في البيان على سننهم ، بل لقد ظلت الكثرة القاصرة من هؤلاء وهؤلاء في أسفافها وفسولة معانيهـا وتزايل الفاظها . ولم يكن الذوق العربي الصحيح قد نفج في نفوس اكثر من يتكلفون الادب ، فكان لهؤلاء كثير من المعجبين بادبهم الحافظين لاشعارهم المتروين لمرسل بيانهم . ولبثت هذه الحال دهراً حتى تداولت الناس معاجم اللغة ، وشاعت بينهم بفضل المطابع ، دواوين السابقين من الشعراء أمثال ابي نواس وابي تمام والبحتري وأضرابهم ، كما أقبلوا على مراجعة كتب المتقدمين من فحول امراء البيان أمثال ابن المقفع والجاحظ وابي الفرج وغيرهم ، فجعلت الملكات العربية تربو ، والاذواق تنضج ، كما جعلت النفوس تهفو لناضج القول وجزل البيان .

الا انه قد وقع ما لم يكن بد من وقوعه ، ذلك ان متأدبينـا قد افترقوا في أساليب البيان بحكم ظروفنـا افتراقاً شنيعاً لان منهم من رأى اعلى الامثلة في الادب العربي فيما

روي عن العرب في جاهليتهم ، ومن كانوا يشاكلون جاهليتهم فأكب على مثل المعلقات والمذهبات والملحمات الخ واراجيز مثل رؤبة والعجاج ، وراح يحفظها و يستظهر غريبها و يشاكلها في كل شيء اذا نظم فيتعمد الاتيان بالغريب ، و يركب متون العيس يقطع بها القفار و يهتف بالدمن و يشبب بالديار و يناجي النؤي والاحجار الخ . وطائفة من المتأدبين قد توفروا على قراءة شعر الشعراء من مطلع الاسلام الى غاية الدولة العباسية والدويلات التي انصدعت عنها ونثر من نجموا في هذا العصر . ولا ننس ادب الاندلس وراحوا يشاكلونهم في كل منازع كلامهم ، ومجالي تشبيهاتهم اذا هم نظموا او نثروا . وهناك فئة ثالثة من المتأدبين ظلوا عاكفين على ادبهم الذي ورثوا عن العصر التركي . وفئة رابعة اخذوا حظاً من لغة العرب وحظاً من لغات الافرنج ، وهؤلاء لم أسلوبهم الخاص بهم وفنون تشبيهاتهم . ونشأت كذلك فئة خامسة تأدبت بادب العرب واستظهرت أجمل ما قالوا في جاهليتهم واسلامهم ، وتأدبت في الوقت نفسه بادب كبار شعراء الغرب وجلة كتابه ، فاذا اجتمع هؤلاء للبيان تمثلت لهم صور المعاني الغربية وجلال الصيغ العربية ، فلا يكن لهم بد من ان يستكرهوا هذه على اداء تلك ، وبهذا خرج ايضاً للادب العربي في مصر نوع جديد .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ومن هنا تعرف لماذا اضطرب الادب العربي في مصر في هذا العهد ، وكيف تبلبلت لهجاته وأساليبه ، حتى لو اطل عليه رجل ممن حذقوا هذه اللغة ولم يكن له بمصر عهد لم يصدق ان هذه اللهجات المتباينة تجري كلها في وقت واحد وفي بلد واحد !

على انه مما لا ينبغي ان يفوتنا في هذا المقام ان انتشار المجلات العلمية والادبية وعناية الصحف على اختلاف ألوانها بتجويد اللغة وتحري الصحيح ، وتجريد بعض صفحاتها للآداب والفنون — لقد كان من اثر هذا أن جعلت اللهجات تتقارب رويداً رويداً ، بتجريد نظر كل طائفة في أسلوب غيرها ، والتقاطها الجيد المطبوع من صيغها ووجوه تعبيراتها ، وجرياً على السنة الطبيعية سنة بقاء الاصلح .

نعم ، لقد جعلت اللهجات تتقارب ، والاساليب تتشابه ، لولا فروق دقيقة يحسها النقدة من اهل البيان . الا انه مازال هناك فرقان واضحان : احدهما الفرق بين اصحاب القديم وأنصار التجديد « وتحقيق هذا الموضوع لا يتسع له حديث اليوم فلنرجئه الى يوم

آخر » . والثـاني ما لا يزال بعض مؤلفي الروايات ومعربيها يسفون فيه من الاتيان بصيغ مبتذلة وتعبيرات متفككة يطلبون بهـا اداء صور وأخيلة افرنجية ، من نحو : يا وصيفة المخدع ، والموت البنفسجي ، وان الشيطان ليرتبك في نسيج عنكبوته الخ .

ولعل السبب في ذلك هو التهافت على الصور والمعاني الاجنبية ، وعدم التمكن من صحيح العربية بالقدر الذي يهيء للمؤلف او المترجم اداء جملة المعنى في صيغة يتقبلها الذوق المطبوع على لغة العرب .

ولعلك معارضي بان شاعراً حتى في ازكى عصور اللغة ، لا يشا كل أسلوبه أسلوب شاعر آخر يعاصره ، وقل مثل هذا في أئمة الكتاب ، حتى ان الناقد البصير ليستطيع ان يميز بين شعر ابي تمام والبحتري ، وبين شعر بشار وحفص بن ابي بردة مثلاً وبين جميل وكثير مثلاً وكل اثنين من هؤلاء عاشا في عصر واحد ؟ وأجيبك ان نعم ! الا انه مهما تنوعت أساليب البلغاء في العصر الواحد فان لكل عصر في بلاغته طابعاً واحداً يجمعها كلها في كنفه ويضمها تحت جناحه ، حتى ان ذلك الناقد الخبير اذا طرحت عليه اثراً من الآثار في الشعر او النثر لم يهتد الى شخص صـاحبه ، فانه يهتدي غالباً الى العصر الذي عاش فيه .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الى هنا خرجت لنا نتيجتان : الاولى ان الادب العربي في مصر (على انحصار تذوقه في طائفة المتأدبين) لم يتخذ الى الآن سمتاً واحداً ولم يطبع بعد بطابع معين ، بل انه مازال أمشاجاً من الاساليب واللهجات نسلخ من هنا ونلتقط من هناك وذلك طبيعي بحكم ماجلينا عليك من الاسباب . على ان الزمن وحده كفيل بان يقـارب بين هذه الانواع من الالسنة المختلفة حتى يدرجها كلها في جنس واحد . ويطبعها بطابع واحد . حتى ما يبقى بينها غير تلك الفروق الدقيقة التي لا بد منها طوعاً لاختلاف البيئات واختلاف الشخصيات .

والنتيجة الثانية هي ان فصيح العربية لبث الادهار الطوال بمجزة عن سواد المصر بين لم نتصل به مدار كهم ، ولا هو اتصل الى هذه الغاية باذواقهم . واذا نحن زعمنا ان شاعراً او ان كاتباً تهيأ له ان يترجم بفصيح العربية عما يجيش في نفسه من مشاعر مصرية ويحسن تجلية كل ما يترقرق في نفسه من وجوه الاحساس المختلفة فان احداً لا يستطيع

أن يزعم ان العربية الخالصة استطاعت وخاصة في هذا العصر عصر العلم الحديث وما هجم به علينا من الوان المخترعات ان تؤدي شيئاً من الاسباب الدائرة بين الناس . بل لقد ناءت العامية المشتقة من اصل عربي باداء اكثر مايقع لاعيننا وتسمعه آذاننا في هذا العهد من صنوف المرئيات والمحسوسات في وجوه الاغراض المختلفة وذلك شيء لا يكاد يأخذه حد او يحصره عد ، وهو كل يوم بل كل ساعة في ازدياد وقوة اطراد ، فاضطر الناس خاصتهم وعامتهم الى ان يتخذوا الالفاظ الفرنجية مع تحريف كبير او صغير للتعبير عن هذه الاشياء الجديدة التي لابد لهم في وسائل عيشهم من التعبير عنها ودخلت هذه الالفاظ في العامية وطبعت بطابع اللسان المصري (ولابد مما ليس منه بد) .

والعجب العاجب انه مع كل هذا ومع ادراك جميع العلماء والادباء لمبلغ هذا الخطر على اللغـة وكثرة تقاولهم فيه وشدة احتفالهم له ودعوتهم الى التشمير لمعالجته لم يجرد له جهد صادق ولم يبل احد فيه بلاء يستحق اي التفات . ولقد كان كل ما رزقنا في هذا الباب من الأساة المصلحين جماعة ممن لهم حظ كبير او صغير من الاطلاع على اللغـة . وهؤلاء قد انصدعوا الى شعبتين : الشعبة الاولى قد القت كل همها وجهدها الى مراجعة كتاب (درة الغواص في اوهام الخواص) للحريري ، وكتاب (لغة الجرائد) لليازجي ونحو ذلك . واخذت نفسها بالارتصاد للشعراء والكتاب البارعين تنقدهم وتزدريهم وتتهمهم بشدة الجهل باللغة وتأخذ احدهم بانه قال : (اثر على الشيء والصحيح اثر فيه) !! وآخر يأخذ ثانياً بانه قال : صحيفة اذ هو يريد صفحة (والصفحة الوجه الواحد والصحيفة الورقة بوجهيها) !! وثالث يعير ثالثاً انه أنث الكأس ما يحوي شيئاً اذ هو لا يؤنث الا اذا كان مملوءاً . . . ونحو هذا من فنون التعقب حتى أخافوا الكتاب والشعراء وارهبوهم وحبسوا أقلامهم عن الانطلاق في الطار الاغراض المختلفة خشية ان يتسقطهم هؤلاء النقدة (ان صح هذا التعبير) وملكوهم عن الترجمة عن كثير من المعاني الطريفة لكيلا يتهموا بانهم جاوزوا ما نص عليه الحريري واليازجي ، وتلك لعمر الله من احدى الكبر !

ولقد كانت هذا النوع من النقد ضربة موجعة للغة العربية نفسها . ثم تعالوا ايها العلماء اللغويون الذين لا يشق لهم غبار ولا يصطلى لهم بنار (على حد المثل) الم يقل أئمة العربية ان حروف الجر تتناوب واي مهلكة مع هذا للغة في ان ينوب (في) عن (على)

في مادة التأثير ؟ بل انني لأزعم ان (أثر عليه) أبلغ كثيراً من (اثر فيه) لان حرف (على) ادل على السطوة والتمكن من حرف (في) ولقد يقول الناس : (وجه الشيء الى كذا) اذ يقول امام العربية الجاحظ (وجهه على كذا) . كما يقول الناس : نشزت المرأة عن زوجها) اذ يقول ابوالفرج (نشزت المرأة على زوجها) ! ... أتريدون بعد هذا ان نصدقكم انتم ونكذب الجاحظ وابا الفرج ؟ انكم إذن حق مغرورين .

ثم ألبس في باب التجوز او الاستعارة او ماشئتم مما تعلقتم به من قشور البيان ما يتسع لاساغة المثلين الآخرين ان كنتم في اصل (نقدكم) من الصادقين ؟

وهنا اذكر عن صديقي شاعر النيل نكتة لطيفة تتصل بهذا المقام ، فلقد وقع في بعض قراآته على ان اللغة العربية ذهب نصفها فلم تحتفظ المعاجم الا بنصفها الآخر فهو كلما اخذه آخذ بخطإ لغوي او نحوي او صرفي اجاب من فوره : ما أدراك ان هذا سائغ في نصف اللغة الضائع ؟ ! !

اما الشعبة الثانية فجماعة كما يقول المثل العامي : (حطوا في بطنهم بطيخة صيفي) ! فاستراحوا والحمد لله تعالى على ان لغة العرب قد وسعت كل ما كان وما يكون وماسيكون وما سوف يكون . فان اللغة التي وضعت للجمل والسيف وللاسد وللخمر وللغزال ونحوها مئات الاسماء لايمكن ان تعيا بان يكون فيها كل مايدل على كل ماترمينا به اوربا وامريكا كل يوم من معان طريفة ومخترعات حديثة ! !

ياسبحان الله ! ألغة كانت هذه ام مجمجمة تستفهم الغيب وتستكشف ما عسى ان يرمى به القدر من وجوه المعاني حتى بعد الف وثلاثمائة عام وترتصد لكل ما ولده الذهن البشري واستخرجه بمحض التأليف والتوليد او راض الطبيعة على اخراجه بالكد وطول التجربة ، فاذا الالفاظ والصيغ العربية محضرة على الرف لا يصيب من يشاء التعبير بها عن كل هذا الا انيمد اليها يده فيطرحها ، وماهولا ان تشك الفاظها تلك المعاني وتستوي بها لمدارك الناس في غير عسر ولا عناء .

والعجب من شأن هؤلاء جماعة زعموا انهم متجردون في طلب نحو اللغة ونلقط كل مايؤدي كل حديث في العلم والفن والزراعة والصناعة وعلوم الطبيعة الخ الخ . ! أليست لغة العرب قد وسعت بظهر الغيب كل ما كان وما يكون ؟ فيدعو (الشبشب) أكرمك

الله (الكوث) وطبة الحلى (الجوئنة) ثم يروح يمن عليك بانه اخرج لك من لغة العرب كل مايوفي بحاجات العصر الحديث ! وتراه بعد هذا يمشي على الطوار مدلاً متنايها بجزرأسه ويثني عطفيه من فتنة واعجاب ظاناً انه لاشغل للجالسين على حواشي الطريق الا الحديث في اختراعه والاعجاب بفقهه في اللغة واحاطته بمكنون أسرارها .

ولقد يجرؤ الشيخ من هؤلاء على ان يزعم لك ان في العربية مايترجم عن كل قطعة وكل جزء من اجزاء (المرحوم) المنطاد ر ١٠١ ولماذا لايكون في لغتنا كل هذا ؟ أليست الطيارة من اختراع العرب ؟ وان اول من صنعها كان العباس بن فرناس ؟

ياناس ! والله ماقتلنا ولا قتل العلم ولا قتل اللغة معنا الا هذا الغرور .

نعم ! شهد الله ان لغة العرب من أثرى اللغات واغناها وابدعها وابلغها ، على انها لقد ادت واجبها وعبرت عن كل مطالب الحياة يوم كانت الامم العربية مستأثرة بالحضارة او مشاركة على الاقل فيها ، فكيف تريدونها وقد انقبضت عن الحضارة او انقبضت عنها الحضارة القرون الطوال — كيف تريدونها بعد هذا على ان تفتح عينيها على آلاف المستكشفات والمخترعات لتؤدي معانيها في يسر ورخاء ؟ انكم إذن لقوم ظالمون .

***

http://Archivebeta.Sakhrit.com

ولقد زعمت فيما زعمت ان فصيح العربية مازال بحجزة عن سواد الناس . وذلك انه في اي عصر من العصور لم يبذل اي جهد في تبسيط هذه اللغة العتية المتعاصية في مفرداتها وصيغها وقواعد نحوها وصرفها . حتى تستوي لمدارك السواد كما لم يبذل اي جهد في ترقية مدارك هذا السواد حتى يفهم هذه اللغة او يلحج بلاغاتها لحناً .

ولقد كان من أبلغ أسباب هذا التعويق ان تواثبت في اثناء هذه النهضة الحديثة طائفتان : احدهما شيعة القديم ، والثانية انصار التجديد . تلك تقول بعدم تخطي لغة العرب المأثورة حتى في كل مايجيهم من الجديد . وعندنا من أبواب التجوز والاشتقاق واتخاذ الحذو من مفردات العربية مايغنينا و يكفل اداء جميع حاجاتنا . اذ هذه تدعو الى التعريب وهي سنة اتخذها من سبقنا من أئمة العلماء في الدولتين الأموية والعباسية حين هاجت آداب الفرس وعلوم الرومان والاغريق الامة العربية . ثم ظل هذا الخلاف وظل الى الآن ولا زالت اللغة من تحته تلتوي و ينقصد من الجهد عرقها بما انقطع من

نفسها في أداء حاجات الناس ، اذ الغرب يزحمها كل يوم بفنون لاحصر لها من المخترعات والمستكشفات مانصبب نحن الجهال وعامة الخلق ، بل ولا سادتنا اللغويون — لها دلالة من لغة العرب ، لا على طريقة اشياع القديم ولا على طريقة أنصار التجديد[1] !

« باحث »

---

(١) ملاحظة — أستدرك على صديق لي من صفوة الادباء انني لم اذكر (كثيراً) الشاعر فيمن وفدوا على مصر طلباً لرفد امرائها وانني لاكبر هذا الاستدراك وأُقرر انه قد غاب عني ان كثيراً الشاعر الأُموي الصميم كان فيمن وفدوا على مصر ولهذا الاستدراك خطره ودلالته على ان خاصة الحكام في مصر قد احتفلوا للغة العربية من عهد الدولة الاموية . واني لاشكره وأُقدر ملاحظته وان كنت لم اذكر من ذكرت من الادباء الذين وفدوا على مصر على سبيل الحصر بل على سبيل التمثيل .

اما ملاحظته الثانية فانني زعمت ان المصريين لم يكن لهم عهد بالعربية قبل الفتح الاسلامي . والواقع انه كان في مصر من قبل هذا من يحذقون العربية وانا اعرف هذا ولا اجهل على الاقل ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد كتب الى المقوقس بالعربية وانه لابد ان يكون هناك في مصر من ترجم كتاب النبي اليه ، ولكن ليس يذهب عن صديقي الاديب ان الحديث انما كان مرسل في اول عهد الامة المصرية بالعربية لا عهد افراد اومئات منها بها وفينا الآن آلاف وآلاف يحذقون الفرنسية والانجليزية ولكن لا يستطيع ان يزعم الانسان ان الامة المصرية تتكلم الفرنسية والانكليزية .

واسطة السلوك

« في سياسة الملوك »

هو اسم كتاب نفيس ، لايزال بدوياً مخطوطاً لم يُنشر بعدُ · توجد منه نسخة في مكتبة (الاسكريال) باسبانيا ، ترجمت الى اللغة الاسبانية بقلم الاستاذ كاصبارمدر يانو وطبعها (الترجمة الاسبانية) في سنة ١٨٩٩ م · بمدينة سرقسطة الا انه طبع منها نسخاً قليلة ، سرعان ما نفدت واصبحت نادرة لا تكاد توجد ·

وكان المظنون ان النسخة الموجودة في (الاسكريال) هي النسخة الوحيدة من هذا الكتاب · غير اني عثرت اخيراً على نسخة مخطوطة أخرى من هذا الكتاب ، في مكتبة صديقي الفاضل الشيخ الحاج عبد القادر قارجه في تلمسان (الجزائر) وهي نسخة تقع في مائتين وخمس واربعين صفحة (٢٤٥) طول الواحدة منها ٢٨ سنتيمتراً في عرض ٢٠ سنتيمتراً وفي كل صفحة ١٨ سطراً ولا تنقص كلمات كل سطر عن ١٢ كلمة ولا تزيد عن ١٥ كلمة وقد كتبت هذه النسخة بخط مغربي واضح ، وفيها كثير من الخطإ و التحريف ، بسبب ان الناسخ كان يسرع في نسخها ويمعن في هذه السرعة ، فاضطره ذلك ان يهمل بعض الحروف المعجمة وان يعجم بعض الحروف المهملة او ان يكتب الدال راءً او واواً او نحو ذلك ، الا ان ذلك كله لا يحول دون قراءتها بسهولة وبلا عناء كبير · ومع ان الكتاب قديم أُلّف فيما بين سنة ٧٠ وبين ٨٠ من القرن الثامن الهجري فان هذه النسخة التي أصفها قد فُرغ من نسخها في يوم السبت ٣ جمادى الاولى سنة ١٢٦١ (الف ومائتين وواحد وستين) · وقد كتب الناسخ اسمه في أسفل الصفحة الاخيرة بشكل مبهم لا يكاد يبين ، فلم أقرأ منه غير كلمتين لا أدري اولاهما من أخراهما وهما : حسن بن عمار او هي عمار تحريف عمر كما ينطقها العامة في تلمسان اليوم · واني الآن أبحث عن النسخة الاصلية التي أخذت منها هذه النسخة ولعلي أجدها قريباً ·

اسم الكتاب واسم المؤلف — اما الكتاب فاسمه في هذه النسخة (واسطة السلوك

في سياسة الملوك) وقد ذكره يحيى بن خلدون صاحب (بغية الروّاد في ذكر بني عبدالواد) باسم (نظم السلوك في سياسة الملوك) · واما اسم المؤلف ، فهو السلطان موسى ابو حمّو الثاني أشهر بني زيان ملوك تلمسان في التاريخ · غير ان هذه النسخة التي أصفها لم يُذكر في اولها اسم المؤلف وانما ذكرت بعض اخبار بني زيان وذكرت معها تواريخها يستطيع الباحث ان يعلم منها اسم المؤلف وانه هو موسى بن حمّو وما فيه من شك · على ان قارئ هذا الكتاب لايلبث ان يقرأ فيه هذه القصيدة التي يقول فيها ناظمها وهو مؤلف الكتاب :

(وانا موسى ابو حمّو أصلح للملك ولا يصلح لي)
(فانا للطفل كوالده واسوق الشيخ على مهل)

وهي قصيدة رائعة ملئت حكمة وحُكماً ·

موضوع الكتاب — هو سياسة الملوك وتدبير الممالك ، ولعل هذا الكتاب هو من خير ما أُلف الناس في هذا الموضوع · وضعه موسى ابوحمّو هذا لابنه وهو يعظه ويوصيه ويقص عليه تجاربه واختباراته في السياسة والاجتماع · وقد اودعه في هذا الكتاب كل مايحتاج اليه الملوك (اوالخلفاء) الذين يديرون ممالكهم بانفسهم ، ويديرون فيها كل جليل وحقير · وفي الحق ان هذا كتاب يدل على ان مؤلفه مطلع واسع الاطلاع ، وعالم غزير العلم ومجرب حكيم وسياسي داهية ، كثير الحيل والاخاديع · وهو كتاب يحتاج الى مثله (بالاخص) اولئك الذين يحكمون أممهم وشعوبهم حكماً الرادياً ديموقراطياً · لا بل يحتاج اليه كل حاكم ، طاغية كان ام عادلاً · لا بل يحتاج اليه كل عالم من علماء التاريخ والاجتماع فهو صورة واضحة لنفسية موسى ابي حمّو الثاني الزياني ، وما في هذه النفسية الملوكية الكبرى من وداعة وتواضع وما فيها من عظمة وجبروت · وهو ايضاً صورة واضحة للمجتمع الاسلامي في الجزائر او في المغرب كله لذلك العهد ، ولما في هذا المجتمع يومئذ من رغبات ومطامح وما فيه من شهوات ومطامع ·

وتشعر ، وانت تقرأ هذا الكتاب بان مؤلفه يقتطعه من نفسه اقتطاعاً · وتراه يضع بين يديك آراء ناضجة قوية في السياسة والاجتماع وهي وليدة التجربة والاختبار · ولاتكاد تجد في الكتاب كله رأياً واحداً بني على الفرض والتقدير دون الخبرة والعيان · ومن هنا جاءت قيمة هذا الكتاب ، ومن هنا كان كتاباً عملياً ، وان موضوعه في سياسة الملوك ·

وليس عجيباً ان يكون هذا الكتاب مبنياً على الواقع الذي لا ريب فيه ، فقد وضعه صاحبه لابنه وولي عهده واجتهد ان يكون له هذا الكتاب دستوراً قويماً ، يقيه شر ما يكون في تدبير الملك وسياسة الامة من اغلاط وعثرات · ولكن اباتاشفين الثاني هذا كان ولداً عاقاً لاخير فيه ، وما كان اهلاً للملك · فقد جازى اباه (اباحمو) جزاء سنمار استبطأ حياة ابيه فتعجل الامر وثار عليه فقتله ، وقتل معه كثيراً من رجال الدولة وعلماء الدين · ثم لم يتمتع بالملك بعد ابيه غير اربع سنوات قضاها بين الفتن والاضطرابات ·

أسلوب الكتاب — وأسلوب الكتاب في جملته هو أسلوب القرن الثامن الذي كان يعيش فيه المؤلف · وهو أسلوب كان شائعاً بين الادباء عموماً وأدباء المغرب خصوصاً ، منذ القرن السابع الى ماقبل هذه النهضة الادبية الحاضرة ، ولا يزال كثير من أدباء مراكش (المغرب الأقصى) يكتبون به الى هذا اليوم ·

واصحاب هذا الاسلوب في الغالب لايستعملون الكلمة في موضعها ولا يؤدون المعنى باللفظ الذي وضع له (لاحقيقة ولا مجازاً) ويكثرون من الاسجاع الباردة التي يتكلفونها ولو افضى بهم تكلفها الى إضاعة المعنى · وقد لايزيدون السجعة (الفاصلة) بتمامها لشيء الا ثرثرة وفضولاً · وابو حمو هذا ، كذلك في هذا الكتاب لايجيد القول ولا يضع الكلم في مواضعه الا اذا ترك السجع وارسل نفسه على سجيتها وجاء كلامه عفواً ، وحينئذ يكون كلامه « سهلاً ممتنعاً » منسجماً صادقاً لاعيب فيه ·

على ان ابا حمو هذا قد وُفق في أسلوب هذا الكتاب الى حد بعيد من التوفيق ، فهو لا يكتفي ببيان الرأي من آرائه التي ولدتها تجاربه واختباراته ، حتى يزيد على ذلك قصة صغيرة او يضرب لك مثلاً من الأمثال يقنعك كل الاقناع من حيث تشعر اومن حيث لاتشعر بصحة الرأي الذي يراه و يذهب اليه ·

تبويب الكتاب — وقد جعل المؤلف كتابه هذا ديباجةً واربعة ابواب · فاما الديباجة فقد ذكر فيها السبب الذي حمله على تأليف الكتاب ، فقال فيها : « · · · أما بعد ، فانه لما كانت الاولاد ، قطع الاكباد ، وعماد الظهور ، وشفاء الصدور ، وثمار القلوب ، وجلاء الكروب ، ودُرَّة كل زين ، وقرة كل عين ، ووصلة الانساب ، وسلسلة التناسل والاعتناء (كذا بالاصل) وورثة الآباء · · · وسر الحياة ، وحياة العظام

الرفات . يرغب فيهم الانبياء ، و يعتدّ بهم الاولياء ، قال الله عزّ وجلّ مخبراً عن نبيه زكريا اذ دعاه : « ... فهب لي من لدنك وليّاً يرثني ، و يرث من آل يعقوب ، واجعله ربّ رضيا ... » — وجب (وهذا جواب لما) ان تكون لهم الآباء كالسماء الظليلة ، والشمس المنيرة ، والسحب المُنيلة . يحفونهم بكل أدب وفضيلة ، ويمحونهم كل فائدة جليلة . وخير الآباء للابناء من لم تدعه المودّة (يريد العطف الابوي) للتفريط في الحقوق (يعني ما يجب على الاب من تربية الابن وتهذيبه) ، وخير الابناء للآباء من لم يدعه التقصير الى العقوق . قال صلى الله عليه وسلم : الاولاد من رياحين الجنة . وقال عبد الله بن عمر رضي الله عنه وكان محبّاً في ولده سالم :

يلومونني في سالم وألومهم وجلدة بين العين والانف سالم

وقال معلّي الطائي :

وانما اولادنا بيننا اكبادنا تمشي على الارض
ان هبت الريح على بعضهم تمتنع العين من الغمض

فرأينا اولى ما يتحف به ولي عهدنا ووارث مجدنا ، والخليفة ان شاء الله من بعدنا ، وصايا حكمية ، وسياسة عملية مما تختص به الملوك ، وتنتظم به امورهم انتظام السلوك . ولذلك سمينا هذا الكتاب بواسطة السلوك ، في سياسة الملوك ، ليكون اسمه موافق مسماه ، ولفظه يطابق معناه » . هذه هي الديباجة نقلتها لك الا بعض فواصل منها . ومنها تعلم الغرض الذي حمل المؤلف على وضع هذا الكتاب .

واما أربعة الابواب فقد قال عنها المؤلف هكذا : « .. وبوّبناه تبويباً على اربعة ابواب :

الباب الاول في الوصايا والآداب والحكم المرشدة الى الصواب .
الباب الثاني في قواعد الملك وأركانه ، وما يحتاج اليه الملك في قوام سلطانه .
الباب الثالث في الاوصاف التي هي (نظام) الملك وكماله ، وبهجته وجماله .
الباب الرابع في الفراسة ، وهي خاتمة السياسة » . ثم شرع بفصل كل باب الى فصول ، و ينوعه الى انواع .

ولكن هذا التنويع والتفصيل والتبويب ، كل ذلك لاقيمة له في الكتاب ، فالكتاب

كله باب واحد متصل الاطراف شديد الاتصال · او الابواب كلها في قواعد الملك واركانه وفيما ليس للملك منه بد ·

وفي الفصل التالي نعود ان شاء الله الى ذكر النقط المهمة من كل باب ومن كل فصل من ابواب الكتاب وفصوله · حتى يعلم القارئ ان الكتاب كله باب واحد في تدبير الملك لا اعتبار فيه لهذا التقسيم الذي قسمه المؤلف ·

***

وقد عزمت انا وصديقي الاستاذ عبدالقادر محداد على نشر هذا الكتاب متى حصلنا على نسخة بالفوتوغراف من نسخة (الاسكوريال) وقد عملنا اكثر ما يجب عمله في هذا السبيل والله الموفق المستعان ·

تلمسان (الجزائر) : محمد السعيد الزاهري

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

- ٦ -

«العنقود»

العنقود بالضم والعنقاد بالكسر لغة فيه ، ما كثرت عليه حبات العنب قال الشاعر :

اذ لمتي سوداء كالعنقاد كأنما كانت على مصاد

والجمع عناقيد . وقد صرح الجماهير بان نونه زائدة .

العصلة بالفتح والضم العنقود .

العِذق بالكسر العنقود من العنب والقنو من النخلة وجمعه أعذاق وعُذوق . وقيل العِذق العنقود اذا اكل ما عليه . والعَذق بالفتح النخلة وكل غصن له شعب . واعذقت النخلة كثرت اعذاقها وفي المخصص واذا اكل ما على العنقود فالباقي عِذق وتربك كما يقال في عذق النخلة اذا نفض ما عليه . وفي التاج التربك كامير العنقود اذا اكل ما عليه ونحوه في اللسان .

القِطف بالكسر العنقود ساعة يقطف واسم الثمار المقطوفة جمعه قطوف وفي المخصص القطف العنب اذا كان غضاً حين يقطف . وفي الاصمعي القطف العنب اذا ما كان غضاً حين يقطف اي يدرك . هكذا ضبط بالفتح بالشكل وقد ضبط بالكسر كما رأيت .

والقطف بالفتح قطعك العنب وكل شيء تقطعه عن شيء فقد قطفته . وقطف العنب من بابي ضرب وقتل قطفاً . وقطّفه تقطيفاً جناه .

والقطاف ككتاب وسحاب اوان القطف ووقته . وقال الاصمعي حصاد العنب وقطافه مكسوران .

وأقطف العنب حان ان يقطف . وأقطف القوم حان قطاف كرومهم وأقطف الكرم دنا قطافه .

والمقطف كمنبر اصل العنقود . والمنجل الذي يقطف به .

والمقطف كمقعد مايجنى فيه الثمر جمعه مقاطف .

والقطافة بالضم ككناسة ما يسقط من العنب اذا قطف . وقطسافة الشجر ماقطف منه .

ويقال ماش كرمه يموشه موشاً اذا طلب باقي قطوفه . وفي التاج اذا تتبع باقي قطوفه فأخذها .

العِسْقِب والعِسْقِبة بالكسر كلاهما عنيقيد صغير يكون منفرداً يلتصق باصل العنقود الضخم والجمع عساقب . وفي القاموس العسقبة بالكسر عنيقيد منفرد ملتزق باصل العنقود والجمع عِسْقِب وعساقب قال في التاج عِسْقِب جنس جمعي كثمر وتمرة لاجمع حقيقي وعساقب جمع حقيقي .

العسكبة كالعسقبة وزناً ومعنى والكاف لغة في القاف . قال في القاموس ويكون فيه عشر حبات قال في التاج وهذا قيد غريب .

المكتب كمعظم العنقود أُكل بعض ما فيه وترك بعضه .

المعمشوش بالضم العنقود يؤكل[1] ماعليه ويترك بعضه والجمع المعاشيش . والمعشوق كالمعمشوش وزناً ومعنى

وقال الاصمعي المعمشوش العنقود اذا أُخذ ماعليه وفي المخصص اذا اكل مافيه .

وقال ابن شميل اذا اكل ماعليه فهو ثفروق وعمشوش (كلاهما بالضم) وجمع الثفروق ثفاريق .

قال الاصمعي الثفاريق العناقيد الخالية . وقيل الثفروق العنقود يخرط ماعليه فيبقى عليه الحبة والحبتان والثلاث يخطئهما المخلب فتلتقط للمساكين . وفي المخصص الثفاريق العناقيد الخالية من الحب . وقال ابوعلي هي الثفاريق مالم يكن فيها عنب فاذا كان فيها عنب فهي العناقيد .

وسيأتي ان الثفاريق اقماع الحب .

الربيس كأمير العنقود المكتنز يقال ارتبس العنقود اكتنز . وفي اللسان وعنقود

(١) هكذا في اللسان وفي التاج يؤكل بعض ما عليه .

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

مرتبس معناه انهضام[1] حبه وتداخل بعضه في بعض ·

الكشر بالتحريك العنقود اذا أكل ماطيبه وألقي ·

و يقال عنقود مُتَبَّن كمعظم اكل بعض ماطيبه من العنب ·

— الخُصاصة بالضم ما يبقى في الكرم بعد قطافه المنبقيد الصغير ههنا وآخر ههنا والجمع الخُصاص بالضم وهو النبذ القليل · وفي اللسان عن ابي حنيفة الخصاصة والجمع الخصاص كلاهما بالفتح · وقال الاصمعي واذا لم يرو الغصن وخرج حبه ضعيفاً متفرقاً فهو الخصاصة والحصرم ونحوه في المخصص الا انه لم يذكر الحصرم ولم أر من ذكرها غير الاصمعي ·

وقال الاصمعي يسمون العنقود الِقنا (هكذا بالقاف المكسورة) · وفي المخصص و يقال للعنقود قِنْو كما يقال للكباسة ابوحاتم وهو الِقنا بالقاف المكسورة · وفي اللسان القنو العذق بما فيه من الرطب · وفيه ايضاً والقِنْو والقِنا الكباسة والقَنا بالفتح لغة فيه ·

الشِجْنة بالكسر الشعبة من العنقود تدرك كلها · وقد أشجن الكرم صار ذا شجنة وتشجن الشجر التف · وفي الاصمعي ويسمون شعبة العنقود الشجنة ·

والِشّجْنة عروق الشجر المشتبكة · والشُجْنة الشعبة من الشيْ ·

الِشمْراخ والشُمْروخ العثكال[2] الذي عليه البسر واصله في العذق وقد يكون في العنب · وفي التهذيب الشمراخ عصبة من عذق عنقود · وفي كتاب الاصمعي والشعبة من العنقود الشمراخ منه ولا يسمى شمراخاً ولكنه تفسير منه · وفي المخصص والشعبة من العنقود شمراخ وعصبة وعصب وهو كذلك من العذق ·

والتذليل تسوية عناقيد الكرم وتدليتها · ذُلِل الكرم دليت عناقيده وفي المخصص واذا سويت عناقيد الكرم فدليت فذلك التذليل · وفي مفردات الراغب وذللت قطوفها تذليلاً اي سُهِّلت ·

---

(١) اي انضمامه و يؤيده عبارة التاج · ارتبس العنقود اذا اكتنز وذلك اذا تضام حبه وتداخل في بعض ·

(٢) قال في اللسان والعُثكول والعِثكال الشمراخ وهو ماطيبه البسر من عيدان الكباسة وهو في النخل بمنزلة العنقود من الكرم · والاثكال والاثكول لغة في العثكال والعثكول ·

« عجم العنب »

العجم بالتحريك والعجـام كغراب النوى نوى التمر والنبق وغيرهما الواحدة عجمة مثل قصب وقصبة . والعامة تقوله عجم بالتسكين وكل ما كان في جوف مأكول كالزبيب وما أشبهه عجم . وقال ابو حنيفة العجمة حبة العنب حتى تنبت .

الفرصد والفرصيد والفرصاد بكسر اولها . عجم العنب وعجم الزبيب .

النواة عجمة التمر والزبيب وغيرهما والجمع نَوًى ونُوِيّ ونِوِيّ وأنواء جمع نَوًى . والنوى يذكر و يؤنث و يكتب بالياء .

وفي كتاب الأصمعي حب العنب النواء (هكذا بالمد ولم أجدها لغيره ولعلها من تحريف النساخ) .

الحبة بالضم عجم العنب وقد تخفف كثبة وقال الاصمعي الحُبَّة الحب الذي في جوف الحبة من العنب . وقال حب كل شيء ثقيل الباء الا حبة العنب والسفرجل والقرع .

« قشر العنب »

الجِفْن قشر العنب الذي فيه الماء .

الدواة بالدال المهملة قشر الحنظلة والعنبة والبطيخة . وهي لغة في الذواة بالذال المعجمة . والجمع ذوىً .

لحاء العنبة قشرها وفي الحديث (فان لم يجد احدكم الا لحاء عنبة او عود شجرة فليمضغه) أراد لشر العنبة استعاره من قشر العود .

النَّطْل القشر الذي على الطم من العنب .

« اقماع العنب »

الثِّجِير والثَّجِير ما انزلق باسفل العنب والتمر ونحوهما والجمع أثجار .

الثُّفْروق بالضم والثـاء المثلثة قمع حب العنب وقمع التمر والبسر والجمع ثفاريق وقيل الثفروق ما يلزق به القمع من التمرة وقيل علاقة ما بين النواة والقمع وقد تقدم في (العنقود) ان الثفروق العمشوش .

والذُّفْروق بالذال والتُّفْروق بالتاء المثناة لغة في الثفروق .

وفي اللسان العُنْدُقة ثغرة السرة وقيل العندقة موضع في أسفل البطن عند

السرة كأنها ثغرة النحر في الخلقة و يقال ذلك في العنقود من العنب وفي حمل الاراك والبطم ونحوه ٠

« تلوّن العنب ونضجه »

يقال أمصى الكرم ٠ لان عنبه واللامص حافظ الكرم زاد الاصمعي٠ الطائف فيه يأخذ هبرة من ادناه وهبرة من اوسطه وهبرة من آخره ٠

وأوشم الكرم اذا بدأ يلون او اذا تم نضجه واوشم العنب لان وطاب ٠ وفي المخصص اذا ابتدأ يلون قيل اوشم ثم حلقم وسيأتي في نضج وقال الخطيب الاسكافي فاذا اسود بعض حبو به قيل اوشم فاذا اسود نصفها قيل شطر[1] فاذا اسودت الحبة الا بعضها مما يلي القمع قيل حلقمت ٠

أومس العنب اذا لان للنضج قيل ومنه قيل للفاجرة مومس وموسة لانها تلين لمريدها ٠

ايراق العنب يوراق اذا لون فهو موراق ٠ وفي اللسان اوراق يوراق ايريقاقا اذا لون ٠

تشكل العنب اينع بعضه وشكل وتشكل اسود واخذ في النضج كذا في اللسان والمخصص وفي القاموس شكّل العنب اينع بعضه واسود واخذ في النضج كتشكل وشكّل ٠ الاصمعي يقال للاسود تشكل بسواد اذا مااسودّ بعضه ٠

وفي اللسان وتمر مجزّع ومجزِّع ومتجزع بلغ الارطاب نصفه وقيل بلغ الارطاب من أسفله الى نصفه وقيل الى ثلثيه ٠ وقيل بلغ بعضه من غير ان يجد وكذلك الرطب والعنب وقد جزع البسر والرطب وغيرهما تجزيعاً فهو مجزِّع وقال المعري المجزع بالكسر وقال شمر بالنصب وقال الازهري وسماعي من الهجريين رطب مجزع بكسر الزاي كما رواه المعري عن ابي عبيد ٠

التمزيج بالجيم في العنب والسنبل ان يلون من خضرة الى صفرة وقد مزّج العنب اصفر بعد خضرة ٠ ومزج الكرم أثمر ٠

(١) لم اجدها بهذا المعنى في اللسان ولا في التاج ولعلها مأخوذة من شطر الشيء نصفه او من شطر بناقته اذا صر خلفيها وترك خلفين فليراجع ٠

ويقال مزّح العنب والسنبل تمزيحاً اذا لون ومزح الكرم اذا اثمر · قال في القاموس او الصواب بالجيم اي مزّج قال في التاج وقد أورده الزمخشري وغيره هنا اي في باب الحاء ·

الوَكَب سواد التمر اذا نضج واكثر ما يستعمل في العنب . في المخصص الوَكَب سواد العنب اذا نضج وقد وكَب · وفي التهذيب الوكب سواد اللون من عنب او غير ذلك اذا نضج · ووكَّب العنب توكيباً اخذفيه تلوين السواد واسمه في تلك الحال مُوَكِّب على صيغة اسم الفاعل ·

وقال الازهري · والمعروف في لون العنب والرطب اذا ظهر فيه ادنى سواد التوكيت يقال بسرٌ مُوَكِّت ·

ويقال تموّه العنب اذا جرى فيه الينع وحسن لونه او امتلأ ماء وتهيأ للنضج وكذلك النخل ·

ينع العنب وأينع أدرك ونضج ويقال ينع الثمر ينيع من بابي منع وضرب ينعاً بفتح الياء وينعاً وينوعاً بضمها فيهما اذا أدرك ونضج فهو يانع من ينع وأينع يونع ايناعاً فهو مونع و يانع مثله · قال في اللسان وأينع بالالف أكثر استعمالاً · وفي القاموس ينع الثمر حان قطافه كأينع · وثمر ينيع كأمير وأينع و يانع واليانع الأحمر من كل شيء · وثمر يانع اذا لوّن ·

المجج بفتحتين ادراك العنب ونضجه · وفي الحديث (لا تبع العنب حتى يظهر مججه) اي بلوغه · ويقال مجّج العنب يمجّج اذا طاب وصار حلواً · وفي الحديث (لا يصلح السلف في العنب والزيتون وأشباه ذلك حتى يمجج)·

ويقال رقّ جلد العنب · لطف · وأرقّ العنبُ رق جلده وكثر ماؤه وخص به ابوحنيفة العنب الأبيض كذا في اللسان · وفي القاموس أرقّ العنب تم نضجه خاص بالابيض · وقال الاصمعي [1] اذا رأيت في الحب الماء قلت قد أرق فاذا أدرك قلت أينع · وقال : يقال للعنب الاسود قد أوشم وللعنب الابيض قد أرق وذلك حين يلين

(١) نقله في المخصص عن ابي حنيفة ·

بعض الحبر ولم تأن كلها . وقال في موضع آخر : يقال ارق للابيض اذا رق حبه واخذ فيه النضج . وفي المخصص ابو حنيفة ارق أبيض العنب وهو الملاحي والملاَّحي والتشديد قليل وتشكل اسوده ووكَّت وهو الغربيب .

في المخصص أَنى العنب أدرك . وفي اللسان أَنى الشيءُ يأني أَنْياً وإِنىً وأَنىً وهو أَنيٌّ حان وادرك . وخصه بعضهم بالنبات . وفي التاج بلغ هذا الشيءُ اناه بالفتح وبكسر اي غايته او نضجه وادراكه .

نضج العنب والثمر والثمر واللحم من باب سمع ينضَج نُضْجاً ونَضْجاً أدرك . والاسم النُضج . قال في المخصص اذا ابتدأ يلون قيل أوشم ثم حلقم[1] ثم أينع وينع يينع ينعاً ويُنوعاً وصَلَح صلوحاً ونضج نضجاً ثم احصد وهو الحصاد ثم القطف وهو القطاف .

و يقال أفضخ العنقود اي حان ان ينفضخ و يعتصر ما فيه .

عضو المجمع العلمي
سليم الجندي

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

---

(١) في اللسان رطب محلقم ومحلقن وهي الحُلْقامة والحُلْقانة وهي التي بدأ فيها النضج من قبل قمعها وفيه عن ابي عبيد يقال للبسر اذا بدأ فيه الارطاب من قبل ذنبه مُذنّب فاذا بلغ الارطاب نصفه فهو مجزّع فاذا بلغ ثلثيه فهو حلقان ومحلقن وفي التاج وقد حلقم وحلقن وزعم يعقوب انه بدل .

آراء وافكار

—*—

« تأويل كلمات في تاريخ حلب »

في الكتب التاريخية الخصيصة بحلب — اسماء أعلام تمحل مؤلفوها بتأويلها فأفرغوها في قوالب عربية مع انها أعجمية محضة موضوعة على مسمياتها من قبل الامم الاعجمية التي كانت تقطن حلب وما يضاف اليها من الاصقاع قبل الفتح الاسلامي وهي كلمات كثيرة قد تتعذر الاحاطة بها و يصعب تحليلها على من لم يكن متضلعاً باللغة السريانية وغيرها من اللغات المتفرعة عن اللغة الآرامية ·

وقد اقتصرت منها على خمس كلمات أوردتها كالنموذج لهذا الموضوع فأقول :

— الكلمة الاولى « حلب » —

هذه الكلمة علم على مدينتنا المعروفة ، وقد كثرت الأقاويل في تأويلها فمن قائل انها اسم اول بانٍ لهذه المدينة وهو (حلب بن مهر بن خاب) قلت هـذا الاسم مما لم أره الا في بعض تواريخ حلب ، وقيل ان هذه الكلمة (حلب) جعلت علماً على هذه المدينة اخذاً من قول العرب (ابراهيم حلب الشهباء) حيثما كان مقيماً في تلها قبل ان تبنى عليه القلعة فكان كل يوم يحلب بقرة له شهباء و يوزع لبنها على العرب المخيمين في جواره ، قلت ربما كان لهذا القول نصيب من الصحة اذا سلمنا بان العرب كانوا يترددون على هذه الاصقاع للامتيار وتسريح السوائم في مراعيها الخصيبة او انهم كانوا مقيمين فيها تحت مضار بهم جيراناً لاخوانهم الآراميين ، فقد صرح هيرودتس واسترابون وغيرهما من قدماء المؤرخين وبعض علماء هذا العصر — ان قبائل عديدة من بلاد العرب او من خليج العجم ارتحلوا الى سورية منذ قديم الايام اه · قلت فمن الجائز حينئذ ان يكون هذا الصقع عرف بهذا الاسم اخذاً من فعل الحليب وان كان له اسماء أُخر عند غير العرب من

الامم التي كانت تقطن هذا الصقع الا ان صحة هذا التأويل تبقى موقوفة ريثما يثبت مجيء الخليل الى هذه الانحاء فاننده موقوفاً في زوايا الاهمال حتى نظفر باثر يثبت مجيء الخليل اليها ·

وقال بعضهم ان كلمة (حلب) محرفة عن "حلَبه" وهو اسمها عند العمالقة وهو قول عجزنا عن اثباته · وزعم آخرون انها محرفة عن "خلَبه" قال وهو اسمها عند اليونانيين وهو قول عارٍ عن الصحة فقد ثبت ان اليونانيين كانوا يسمونها ("بروئيا") وهو اسم احدى مدنهم في ترافيا ، سموها بهذا الاسم جرياً على سنتهم في تسمية مايحتلونه من البلاد الاجنبية باسم احدى مدنهم الاصلية · ورأى حضرة المطران فرحات في قاموسه ان كلمة حلب معربة عن (ألبء) منقولة عن اسم مجددها (اليبوس) الشهير من وزراء يوليانوس العاصي ، قلت يعارض هذا الرأي ان (اليبوس) وجد بعد المسيح عليه السلام وحلب كانت تسمى بهذا الاسم قبله في عهد بني اسرائيل فان الاستاذ منك الفرنسي الجغرافي الشهير — سماها بهذا الاسم في خارطة بني اسرائيل عن اطلسه العام التاريخي · وأطلق كزانفون اليوناني تلميذ سقراط الحكيم كلمة حلب على الاصقاع الممتدة من اذنة الى الفرات ·

رأيي في هذه الكلمة — والذي أراه في هذه الكلمة انها سريانية محرفة عن (حلبا) بالألف ومعناها البيضاء حذفت ألفها بالاستعمال جرياً على قاعدة المتكلمين بالسريانية من انهم يحذفون أمثال هذه الالف بالتكلم ، وان اتباع حلب بكلمة الشهباء التي معناها البيضاء المصدوعة بالسواد — مما وضعه العرب كالمرادف لكلمة حلب لتفسيرها ، وان السريانيين كانوا يسمونها بهذا الاسم لما كان يشاهد المقبل عليها من بياض ضواحيها التي تكثر فيها سباخ الملح خصوصاً ضواحيها الجنوبية الشرقية التي تبهر الناظر بلمعان سباخها ولا سيما إبان القيظ ولما كان يشاهد للقادم على حلب من بياض مبانيها التي كان معظمها يبنى بالحوار الابيض المأخوذ من مغاراتها الواسعة المنتشرة فيها وفي أطرافها كمغارة حارة المعادي وحارة الكلاسة وغيرهما من المغائر التي يطول الشرح بعدها فكانت مناظر حلب لهذا السبب كمناظر مدينة عينتاب والرها وغيرهما من البلدان التي مابرحت عمائرها تبنى بالحوار حتى الآن ·

كانت مباني حلب تبنى كلها من هذه المادة سوى مباني الحصون وبعض مباني المعابد ومنازل الحكام والامراء وذوي الثراء وسبب ذلك كثرة ما تتطلبه المباني الحجرية من

المال الكثير والعناء الشديد في قطع الحجارة وقلعها من مناجمها فان اهل هذه الحرفة قبل ان يستعملوا البارود في نسف الصخور والجنادل على طريقة (اللغم) المعروفة كانوا يحطمون صغارها بالمعاول والصواقير و يجزون كبارها بالحز و يسفنونها بورق الحديد فيصرفون في ذلك أموالاً طائلة و يتكبدون من الضيق والعناء ما لا مزيد عليه ٠

— الكلمة الثانية « قويق » —

هذه الكلمة علم على نهر حلب وفيه يقول الشاعر الصنوبري :

قويق على الصفراء ركب جسمه   فما لهب القيظ الأليم يوافقه
اذا جد جد الصيف غادر جسمه   ضئيلاً ولكن الشتاء يرافقه

قال ابن الشحنة نقلاً عن ابن شداد — يريد الصنوبري بهذا ان اصحاب الامزجة الصفراوية تنحل أجسامهم في الصيف ويوافقهم الشتاء وان قويق يقل ماؤه في الصيف حتى يصير حول المدينة كالساقية ، قال ابن الشحنة وقد فهمت من هذا امراً وراء ماذكره ابن شداد وهو ان قويق تصغير قاق وهو يخالف طبعه الحر فيكون في الصيف غاية في الضعف وفي الشتاء غاية في النشاط اه ٠ هذا ما استنبطه ابن الشحنة من بيتي الصنوبري ، ومراده بالقاق الطائر المعروف بالغراب الأبقع المكنى بابن دأية ٠

وقال ياقوت في كتابه معجم البلدان لما تكلم على هذا النهر قويق كأنه تصغير قاق وهو صوت الضفدع ولذا قال شاعرهم وأورد البيتين الاخيرين من هذه القطعة وهي :

قويق اذا شم ريح الشتا ٠ اظهر تيهاً و كبراً عجيبا
وماثل دجلة ثم الفرا ت بهاءً ولطفاً وحسناً وطيبا
وان اقبل الصيف ابصرته ذليلاً حقيراً حزيناً كئيبا
اذا ما الضفادع نادينه قويق قويق ابى ان يجيبا
وتمشي الجرادة فيه فلا تكاد قوائمها ان تغيبا

فهذان تأويلان لكلمة قويق ، وهناك تأويل ثالث ربما كان أضعف منهما ، وهو ماذكره صاحب سالنامة ولاية حلب المطبوعة سنة ١٣٠٠ فقد زعم ان هذا النهر أضيف الى اسم الذي جرّه من منبعه الى حلب وهو قويق اغا احد زعماء التركمان في دارة العمق المدفون في تربة سوق الخيل بحلب ، أقول هذا النهر من جملة الأنهار الطبيعية الجارية

بطبعها التي لم يجرها احد من متابعها وان المدفون في التربة المذكورة أرغون نائب حلب لا غير وان قويق الذي زعمه صاحب التقويم السنوي عنقاء مغرب لا ذكر له في كتاب ولا سمعنا به من احد .

رأيي بهذه الكلمة — أرى ان كلمة قويق محرفة عن (قوق) كلمة يطلقها الاتراك على شجر (الحور) وهو شجر ابيض اللحاء يطول باستقامة نحو عشرين متراً او اكثر ومنه نوع تعمل من صمغه الكهرباء .

بيان ذلك ان هذا النهر كان ولم يزل يغرس على أطرافه في أوائله من بلاد عينتاب — شجر الحور فينمو ويعجب ويباع منه الكثير في البلاد القريبة من عينتاب فعرف به هذا النهر وأضيف اليه وقيل باللسان التركي (قوقنهرى) ثم نقل الى اللغة العربية فقيل (نهر قوق) ثم حرفت الكلمة الثانية فصار نهر قويق وترجمتها بالعربية (نهر الحور) .

ومما يؤيد ان كلمة قويق تحريف (قوق) التركية انه يوجد في مدينة عينتاب التي هي اول مصدر للينابيع التي يتكوّن منها هذا النهر — مستنقع عظيم معد منذ القدم لغرس شجر الحور معروف حتى الآن باسم (قوقلق) اي مغرسة الحور او (محورة) كان هذا النهر يسمى قديماً (شالوس) ، وقال (دارفيو) : احد قناصل الدولة الفرنسية بحلب في حدود القرن الحادي عشر ه في كتابه الذي سماه (تذكره اسفارى) — كان هذا النهر يسمى (سيغا) او (سيكوبم) وانه كان يسمى قبلاً (بيلوس) اه . وسماه (كزانفون) اليوناني (خالس) . قال وهو نهر صغير فيه أنواع من السمك والسوريون يحسبونها آلهة ولا يسمحون بصيدها لاحد .

والذي يغلب على ظني ان اول مرة أضيف هذا النهر الى كلمة قوق كان في ايام الدولة الطولونية التي هي اول دولة تركية حكمت في حلب بعد الفتح الاسلامي فان هذا الاسم للنهر لم نره في شيء من النظم والنثر أقدم من كلام الشاعر البحتري الذي استغرقت حياته جميع ايام الدولة الطولونية ، فلعل أسماءه القديمة التي ذكرناها نسيت اوهجرها الناس استثقالاً لها فاعتاضوا عنها باسمه الجديد .

— الكلمة الثالثة « بانقوسا » —

هذه الكلمة علم على ناحية في ظاهر مدينة حلب فسيحة الاكناف مترامية الاطراف

كانت قبل القرن بالمجابح الجميلة ذات اشجار ملتفة ودواليب محتبكة . منها يستمد اهل حلب ما يحتاجون اليه من الأخشاب المتنوعة ، وكانت من جهة أخرى تعد من جملة منتزهات حلب كما تشير الى ذلك اشعار البحتري والصنوبري وغيرهما من الشعراء ، كما يظهر من عبارات المؤرخين حين تكلمهم عن الحروب الناشبة بين سيف الدولة وبين كافور الاخشيدي الذي كان يقطع الاشجار التي اشتهرت حلب بكثرتها . قال البحتري :

اقام كل ملث القطر رجاس … على ديار بعلو الشام ادراس
فيها لعلوة مصطاف ومرتبع … من بانقوسا وبابلى وبطياس

الصنوبري :

والظهر بين حلب منزل … بانشاب العيون على نجه
اهوى بجوشنه نظارة … الى سمنته والى برجه
الى بانقوسا وتلك التي … حكت نرانكيا لاح من لجه
لترتاح نفسك من دوحه … ويمرح طرفك في مرجه

من قصيدة أخرى :

حيثما الباذات بانت … والحدائق ... ورباها
بانقوسا ... بها … يا هي المباهي حين باها

وقال مجد الدين بن اسماعيل الآمدي :

سقى الله وادي بانقوسا من الحيا … سماء يروي ترتبها ويعشب

تأويل العامة لهذه الكلمة — يزعم العامة من اهل حلب ان هذه الكلمة مركبة من كلمتين احداها (بان) والاخرى (قوسها) اي ظهر قوسها ويحكون في ذلك حكاية طويلة خلاصتها ان حرباً قامت على ساق بين اهل حلب وبين الروم وكثرت القتلى من الحلبيين حتى خاض المتحاربون الدم وان الروم بينما كادوا يحرزون الغلبة على الحلبيين ويفنونهم عن آخرهم اذ ظهرت في أخريات جيش اهل حلب فتاة كانت معروفة عندهم بالفروسية والشجاعة واخذت تلوح للحلبيين بقوسها كأنها تشجعهم فاستبشروا بظهورها وقويت عزائمهم وتنادوا فيما بينهم (بان قوسها ، بان قوسها) وكروا على الروم فهزموهم ومزقوا جموعهم شر ممزق ومن ذلك التاريخ جعلت هذه الكلمة علماً على تلك الناحية

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

تأويل اقل قيمة من الاقصوصة خرافية ، اما كان من الواجب فيها ذكر تاريخ تلك الواقعة العظيمة وبيان اسرافتها الباسلة والاشادة بذكرها كما اشاد الفرنسيون بذكر فتاتهم جاندارك فان مثل هذه الفتاة جديرة بان تخلد ذكرها في صفحات التاريخ .

وهناك تأويل آخر الكلمة بانقوسا اشد بطلاناً من التأويل الاول لان القائل به يزعم انبانقوسا نبي من انبياء الله العظام ، وذلك انه يوجد في جامع بانقوسا الشهير بجانب — ضريح يزوره الناس ويتبركون به لانه نقش على سنادة الحجري هذه العبارة :

« يا حضرة نبي الله بانقوس على نبينا وعليه افضل الصلاة والسلام قد اخبر بهذا العلامة الشيخ مرتضى الدين الزبيدي شارح الاحياء والقاموس . قال شيخنا العلامة الشيخ احمد التكجي نزيل مصر ان الشيخ مرتضى امام في علم التاريخ » اه .

اقول الشيخ مرتضى هذا هو العلامة محمد الشهير بمرتضى الدين الزبيدي المتوفى في القاهرة سنة ١٠٩٦ وقد تصفحت شرحه على الاحياء من اوله الى آخره فلم أظفر فيه بذكر لنبي الله بانقوسا ، كما انني لا أعرف نبياً بهذا الاسم ولا ادري اين قال الشيخ مرتضى ان بانقوسا اسم نبي ، وانما قال في شرحه على القاموس فيما استدركه على مادة بنافيس بنقوسا جبل في ظاهر حلب ، واستشهد على قوله بابيات البحتري التي اسلفت ذكرها ، فلوكان مرتضى الدين هو القائل بان بانقوسا نبي من انبياء الله لكان ذكره اياها في هذا المحل اولى من ذكرها في غيره لانه كان يجعلها استدراكاً على صاحب القاموس كما جرت عادته في ذلك .

رأيي في هذه الكلمة — ارى في هذه الكلمة (بانقوسا) انها محرفة عن كلمة سريانية هي (بيت نقوشا) اي بيت الناقوس حذفت من الكلمة الاولى الياء وأبدلت التاء بالالف كما هو قاعدة النقل من السريانية الى العربية كباصفرة و بابنس اي بيت صفرة وبيت بنس وقلبت الشين سيناً كما قلبت في قنشرين فصارت (بانقوسا) وربما استدل بهذا على ان جبل هذه الناحية في ايام سكنى الكلدانيين في حلب كان موضع الناقوس .

ومما يؤيد ان المراد من هذه الكلمة ماذكرته انه يوجد من القديم في حارة من حارات حلب اسمها الشرعسوس — حوض يعرف باسم قسطل (بنقوس) فهل كان الداعي لتسمية هذا الحوض بهذا الاسم ظهور فتاة باسلة ام هل مدفون في جواره نبي الله بانقوس حتى

سمي بهذا الاسم ، كلا بل هو لم يضف الى بنقوس الا لأن في جواره معبداً قديماً نصرانياً علق عليه الناقوس ·

الكلمة الرابعة « المعرة » — هذه الكلمة علم على مدينة معرة النعمان : قال ياقوت في كتابه معجم البلدان لما تكلم على هذه البلدة « المعرة تأتي بمعان مختلفة وهي الشدة وكوكب في السماء دون المجرة وتلون الوجه من الغضب والمعرة في الآية معناها جناية كجناية العر وهو الجرب » اه ·

قلت لايخفى ان هذه البلدة لايوجد لها صفة تؤهلها لان يطبق عليها احد هذه المعاني ولذا ارى ان كلمة معرة سريانية الاصل محرفة عن (مَعَرْتا) فتصرف بها العرب كما تصرفوا بغيرها من الكلمات الاعجمية وان معنى هذه الكلمة المغارة سميت بذلك لوجود عدة مغارات فيها كانت معدة لاحراز ماء المطر وهكذا يقال في معارة (معرة) مصرين البلدة المعروفة ومعنى مصرين في السريانية (الامطار) يدل على صحة ماأراه وجود عدد عظيم من المغائر في هذه البلدة ايضاً ·

خاتمة — كل رأي ابديته في هذه المقالة بنيت حمله على الأركان فلست أصر عليه اذا قام البرهان على خلافه اذ لا ضالة لي أنشدها سوى بيان الحقيقة ، والله يهدي الى سواء السبيل ·

كامل الغزي
عضو المجمع العلمي

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

دمشق

هل يقال فيها دمشقة ؟

« بين سيف الدولة وابن خالويه »

—*—

عقد ابن عساكر في تاريخه الكبير فصلاً ضمنه البحث (في اشتقاق تسمية دمشق وأماكن من نواحيها) وقد أحببنا ان ننقل منه النبذة التالية التي افتتح بها الفصل قال :

ودفع اليّ ابو الفضل محمد بن ناصر بن محمد بن علي ببغداد كتاب اشتقاق اسماء البلدان لابي الحسين احمد بن فارس بن زكريا اللغوي وعليه خطه فوجدت فيه :

واما دمشق فيقال انها من دَمْشَق وناقة دَمَشْق اي سريعة قال :

وصاحبي ذاتُ هِبابٍ دَمْشَقُ ... كأنها بعد الكلال زورق (1)

و يقال : دمشق الضرب دمشقة اذا ضرب ضربا سريعا خفيفا .

أخبرنا ابوغالب احمد بن الحسن بن احمد البنا أنبأنا ابوعلي محمد بن الحسين بن الفراء أنبأ ابو القاسم اسماعيل بن سعيد بن سويد المعدل قال : قال ابو بكر محمد بن القاسم بن الأنباري أنبأنا :

«دمشق» فعلٌ من قول العرب ناقة دَمْشَق للخطو : اذا كانت خفيفة الخطو .

وذكر ابو عبد الله الحسين بن خالويه النحوي فيما قرأته بخط ابي محمد عبد الله بن الخطابي الشاعر :

---

(1) أراد الشاعر بصاحبه ناقته والهباب مصدر هبّ السائر من انسان ودابة نشط وأسرع . فهو يصف ناقته بالدمشقة والعجلة في السير يقال دَمْشَقَ الامر اذا أتاه بالعجلة . و يفهم من التاج ان دمشق سميت من هذا لان الآمرين ببنائها كانوا يقولو (دمشقوها) اي ابنوها بالعجلة .

كتب الي سيف الدولة — لا شكت[1] عشره ، ولاشلت يده — يسأل عن «دمشق» : هل يقال فيها «دمشقة» ام لا ؟

فقلت :

« (دمشق) اسم هذه المدينة ، ليست عربية فيما ذكر ابن دريد ، بل هي معربة . »
« ولا يقال الا بغير هاء ، فأما (الدمشقة) السرعة : دمشق يدمشق دمشقة ودمشاقاً »
« اذا أسرع ، وكل سريع دمشق ، أطال الله بقاء سيدنا [2] .... »

فأعاد الرقعة وقد وقع عليها :

« مر بنا في كتاب : قال عبد الرحمن بن صهيل الحجبي ، وهو بعسكر يزيد ابن ابي سفيان عند حصارهم دمشق : »

(أبلغ ابا سفيان عنا بأننا على خير حال كان جيش يكونها)
(وانا على بابي دمشقة ثرتمي وقد حان من بابي دمشقة حينها)

وفي الرقعة ايضاً :

« ان الناقة السريعة يقال لها (دمشق) والمرأة السريعة اليد في العمل » .

فكتبت تحته :

« [3] .... ولاسيما اذا قصد بدمشق المدينة ، فزاد هاء ، تأكيداً »
« للتأنيث ، كما ان عقرباً مؤنثاً بغير علامة التأنيث ، والعرب ذكرها فقالوا : عقربة »
« تأكيداً ، فكذلك دمشق ودمشقة ، وذكر يونس وغيره : أنثاة وعجوزة وفرسة[4] . »
« كل ذلك تأكيداً ، وقرأ ابن مسعود (تسع وتسعون نعجة[5] أنثى) » .

(١) اي لا مرضت انامله العشر . (٢) في موضع هذه النقط من الاصل جملة محرفة هذه صورتها (بد السند وز يرام خنور يكونه فيها) .

(٣) في موضع هذه النقط من الاصل جملة محرفة ايضاً هذه صورتها (هـذا حاين الشاعر يحتمل له) . (٤) يعني ان كلمات (أنثى وعجوز وفرس) مؤنثات بغير تاء لكنهم يلحقون بهـا التاء أحياناً لتأكيد التأنيث . (٥) يعني بزيادة كلمة «أنثى» على القراءة المشهورة مع ان كلمة «نعجة» يفهم منها الأنوثة من دون كلمة «أنثى» لكنها ألحقت بها في هذه القراءة لتأكيد التأنيث .

فبعث يستحضرني . فلما مثلت بين يديه . قلت :

« أيها الامير : رب علمٍ كنتَ مبديه . وقد استفدتُه « دمشقة » . الا انه في »
« النحو كما ذكرت . والعرب تزيد المذكر بياناً . كما قال النبي صلى الله عليه وسلم : »
« (ابن لبون ذكر) وتزيد المؤنث تأكيداً مثل (نعجة أنثى) » .

وذكر كلاماً غيره :

سمعت ابا بكر محمد بن عبد الباقي بن محمد الفرضي ببغداد . وكان اسيراً . وبقي ببلاد الروم مدة . ثم ان رجلاً من حكماء الروم قال له : انما سميت «دمشق» بالرومية . وان اصل اسمها « ذومسكس » اي مسك مضاعف لطيبها . لأن « ذو » للتصغير و « مسكس » هو المسك . ثم عربت فقيل (« دمشق » والله تعالى اعلم) اه .

« المغربي »

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

—«***»—

من نوادر مخطوطات
« دار الكتب الظاهرية »
— ٩ —

(المنتظم في تاريخ الامم) : تأليف ابي الفرج عبدالرحمن بن علي الجوزي البغدادي المتوفى سنة ٥٩٧ هـ وهو تاريخ مفصل منذ بدء الخليقة الى زمن البعثة النبوية ، ثم منها الى خلافة المستضيء العباسي على ترتيب السنين . وفيه نبذ من الفوائد الحديثية وتراجم الملوك والأعيان . والموجود منه المجلد الخامس : من وقعة اليرموك الى خلافة علي بن ابي طالب رضي الله عنه . وحوادث سنة ست وثلاثين هجرية . وقد كتب سنة ٦٥٩ هـ بقلم نسخ . (رقم ٦٣ : التاريخ)

(أخبار الأذكياء) : تأليف يوسف بن حسن بن عبدالهادي من علماء صالحية دمشق في القرن التاسع . نسخة بخط مؤلفها سنة ٨٩٤ هـ . (رقم ٦٣ التاريخ)

(الكواكب السائرة بأعيان المئة العاشرة) : تأليف نجم الدين محمد بن بدر الدين الغزي المتوفى سنة ١٠٦١ هـ وهو معجم فيه تراجم رجال عصره من علماء وأدباء وله ذيل للمؤلف نفسه سماه (لطف السمر وقطف الثمر من تراجم أعيان الطبقة الاولى من القرن الحادي عشر) نسخة كتبت بقلم عادي سنة ١١٦١ هـ . (رقم ٤١ التاريخ)

(الاغراب في أحكام الكلاب) : تأليف يوسف بن حسن بن عبد الهادي . قال مؤلفه بعد البسملة والحمدلة « وبعد فهذه نبذة يسيرة في أحكام الكلاب سميتها (الاغراب في أحكام الكلاب) » . نسخة بخط المؤلف تعسر قراءتها . كتبها سنة ٨٩٤ هـ . (رقم ١٥ : الآداب)

(اسماء الضعفاء من رجال الحديث) : لابي الفرج عبد الرحمن بن ابي الحسن علي

ARCHIVE

ابن محمد الجوزي البغدادي المتوفى سنة ٥٩٧ هـ وهو كتاب فيمن نسب الى الكذب ووضع الحديث ، ومن غلب على حديثه الوهم ، ومن يتهم في بعض حديثه ، مرتب على حروف المعجم ، الموجود منه نسخة تبتدئ من حرف الألف الى الغين ، وكتب في هذه النسخة انها بخط محيي الدين النووي في ١٨٤ صفحة متوسطة . (رقم ٣٦٣ الحديث)

(اللطائف من دقائق المعارف في علوم الحفاظ الأعارف) : تأليف ابي موسى محمد بن ابي بكر عمر بن ابي عيسى الاصبهاني المولود باصبهان سنة ٥٠١ هـ المتوفى سنة ٥٨١ هـ اولها (الحمد لله حمد الشاكرين الخ) أورد فيه أنواعاً لطافاً من علم الحديث لا يهتدي الى مثلها الا النحرير من الحفاظ : مثل رواية الفاروق عن الصديق ، ورواية الصديق عنه . نسخة في ثمانية اجزاء عدد صفحاتها ١٦٠ كتبت بقلم عادي سنة ٧٠١ هـ (رقم ٣٥٦ الحديث)

(شرح عقيلة أتراب القصائد في أسنى المقاصد) : تأليف ابي العباس احمد بن محمد جبارة المرادي المتوفى سنة ٧٢٨ هـ وهو مجلد في ٣٥٨ صفحة بقطع الوسط بخط محمد عبد المولى الحنبلي البعلي ، كتبها سنة ٦٩٨ هـ في مدينة بعلبك ، وقد قوبلت على نسخة المؤلف . (رقم ٧ ا قراآت)

حسني الكسم

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

مطبوعات حديثة

—«»—

معجم أسماء النبات

« تأليف الدكتور احمد عيسى بك عضو المجمع العلمي العربي بدمشق »
« واللجنة العليا لدار الكتب الملكية في القاهرة وللمعهد العلمي المصري ، طبع »
« بالمطبعة الاميرية بالقاهرة سنة ١٩٣٠ م في نحو ٣٠٠ صفحة من القطع »
« الكبير »

اذا كانت قيمة الكتب بالجهود التي تبذل في تصنيفها فهذا المعجم يعد كتاب السنة بل كتاب اكثر من سنة . فان ذكر بضعة آلاف من اسماء النبات بالعربية مع مقابلتها باللاتينية ومقابل عدد منها بالفرنسية والانكليزية امر يحتاج الى علم واسع بالنباتات والى بذل جهود عظيمة لتحري الصحيح من الالفاظ العربية التي وردت في كتب الاجانب النباتية ككتاب بوست وشوينفورث ولورسكال وغيرهم . ولقد تصفحت المعجم وفتشت عن كثير من الالفاظ فيه فألفيته أجود ما وضع في هذا الصدد حتى الآن وأتمه ، فالفقيد المؤلف الفاضل راجع جميع ما يمكن الوصول اليه من المآخذ العربية والاعجمية ودون ما فيها بدقة تامة على شكل يسهل معه مراجعة الالفاظ في اي لغة كانت من اللغات الاربع وهي اللاتينية والعربية والفرنسية والانكليزية . اما الطبع فهو ممتع جداً ولله در القائمين باعمال المطبعة الاميرية المصرية على ما يتحفوننا به بين حين وآخر .

وقد رأيت من المفيد ان ألفت نظر العلامة صاحب المعجم الى ما يلي وهو :

اولاً . — لم أجد في المعجم كثيراً من الازهار والرياحين واشجار التزيين وهي عدد عظيم مثل (Passiflora Coerulea) وهو نبات معرش نعرفه ويسمونه في دمشق نبات الساعة لانهم يشبهون زهرته بالساعة و (Dahlia) وقد عرب في دمشق بلفظة

أضاليا وأزهاره في الخريف مشهورة وشجر (Cazuarina) وهو خيطي الورق سريع النبات عرب بحرف كزوربنا الى عشرات غيرها • وقد يكون عذر المؤلف في إهمال هذه النباتات كون معظمها تعد نباتات اجنبية نقلت حديثاً الى بلادنا وليس لها اسماء عربية ولكنني أرى ان هذه الملحوظة لا تحول دون اثباتها في المعجم كما أثبتت أمثالها (شجر الاوكاليبتوس وغيره) • ثم ان لهذه النباتات شهرة تجعل ذكرها امراً ضرورياً في معجم كهذا وان كان لا يتناول غير اسماء النبات •

ثانياً •— لا يزال في المخصص وغيره عدد لا يستهان به من اسماء النبات لم أجدها في معجم الدكتور المحترم مثل الغُذّام والحَيْهَل والسُّلَّج والعَبَاقِيَة والأَسْحُل الخ فعساه يتمكن من معرفة اسمائها العلمية وان كان ذلك امراً صعباً •

ثالثاً •— شاهدت في بعض انحاء لبنان كبين زحلة وما بين برمانا وضهور الشوير وعلى ضفاف (البردوني) في زحلة شجرة تسمى باللاتينية (Alnus) و بالفرنسية (Aulne) ويسميها اللبنانيون النغث والنغظ والمغث وهي الفاظ لم أجدها في الامهات • وقد ذكر بوست هذه الشجرة في كتابه اما صاحب معجم اسماء النبات فلم يذكرها •

رابعاً •— قال ان اللتور يين يسمون النبات (Gundelia Tournefortii) العَكُّوب والكَعْوب مع اننا لم نسمع بغير العَكُّوب بتشديد الكاف • وقال اننا في الشام نسمي النبات (Prunier) الانجاص مع اننا نسميه الخوخ ويسميه المصريون البرقوق • ولم نسمع بلفظة انجاس ، اما لفظة انجاص بالصاد فلا نطلقها على غير الكمثرى (Poirier) كما أورده • واما ما يسميه المصريون الخوخ اي (Pêcher) فاننا نسميه الدراق والدراقن •

وذكر ان ما نسميه في الشام اسكي دنيا و بي دنيا هو الشجر المسمى (Mespilus germanica) و بالفرنسية (Néflier) على حين ان الشجر الذي نطلق عليه الالفاظ المذكورة وخاصةً لفظ ابكي دنيا هو الشجر المسمى (Eriobotria japonica) دون غيره و بالفرنسية (Neflier du Japon, Bibassier) •

خامساً •— جمع حضرة المؤلف عمداً جميع الألفاظ التي رأى ان العرب يطلقونها على النبات الواحد مع ان من هذه الالفاظ ما اشتهر بكونه يدل على نبات آخر • وهذه

الطريقة لاتخلو من سيئات ، مثاله انه أورد مقابل النبات المسمى (Vicia Ervilia) ١٣ لفظة منها الكرسنة والبيقية والقرصعنة ، فالكرسنة هي اللفظة الوحيدة التي يُعرف النبات المذكور بها في الشام وفي معظم البلاد العربية (وهو من القطاني المشهورة) اما لفظة البيقية فالشاميون كافةً لا يطلقونها الا على النبات الزرعي المعروف المسمى (Vicia Sativa) •

(ومن الغريب ان المؤلف لم يذكر لفظة بيقية وبيقة مقابل هذا الاسم اللاتيني) • واما لفظة قرصعنة فنحن لانطلقها اليوم الا على النبات المسمى (Eryngium Creticum) وهو من البقول البرية • فيتضح من ذلك ان طالب العلم اذا قرأ في كتاب زراعي فرنسي عن نبات (Ers ervilier) مثلاً وفتش عما يقابله بالعربية في المعجم يضيع بين اللفظات الثلاث المذكورة لان كلاً منها لا تستعمل (في الشام على الاقل) الا لنبات واحد من النباتات الثلاثة •

ولا شك ان الدكتور هو أجدر من يدرك اضرار تعدد المعاني في اللفظ الواحد ولا سيما في موضوع علمي كهذا اذلايجوز ان تتناول اللفظة غيرنبات بعينه لكن المؤلف الفاضل تعمد كما يفهم من مقدمة المعجم ذكر جميع مدلولات اللفظة الواحدة لتكون الالفاظ مرجعاً لعلماء المستقبل الذين سيعهد اليهم تخصيص المعنى الواحد بكلمة واحدة •

وبعد فان معجم العلامة احمد عيسى بك « الذي يظهر انه يشتغل بتواضع وبلاضوضاء كما يقول الاوربيون لا كالذين يملأون الدنيا ضجيجاً لأنفه تصنيف » هو عمل خالد • ومتى قدر لهذه الامة ان يجتمع علماؤها في مجمع علمي مشترك (وهذا لايكون الا في مصر على ما أرى) لوضع معجم في العلوم أعجمي عربي تقره الدول العربية ، فان خير أساس يمكنهم ان يبنوا عليه من حيث اسماء النبات هو هذا المعجم •

مصطفى الشهابي

القبائل الرحالة والنصف رحالة

« في دول الانتداب الافرنسي في الشرق »

طبع في بيروت سنة ١٩٣٠ م في مطبعة جان دارك ص ٢٦١ بالافرنسية

Les tribus nomades & semi - nomades des états du Levnt placés sous mandat français. Beyrouth juillet 1930

هذا كتاب نشرته دائرة الاستخبارات في المفوضية العليا في سورية ولبنان . وفيه مختصر ممتع في تاريخ القبائل الرحالة في سورية ، ووصف القبيلة وما يتنوع منها والمشايخ والعادات والأخلاق والمنازل والأمواه ، وما له اتصال بالبدوي وما يعمل لتحضيره ، ووصف مطول لما يجب ان يعرف من حال القبائل في الشمال والجنوب ، ومن ينزل من هذا الصنف من الناس في سورية وجمهورية لبنان وبلاد اللاذقية وجبل الدروز ، وجداول في أنساب المشهورين من الرحالة والنصف رحالة .

ومما جاء فيه ان قبيلتي عنزة وشمر هما الآن في اول سلم التحضر ، اي رحالة من الطراز الاول ، اما الموالي والحديديون والنعيم فهم في المرحلة الثانية من التحضر ، وعرب التلول والفضل ، وان نزلوا تحت الخيام ، فهم عرب متحضرون مقيمون ، وان حب الغزو متأصل في نفوس هاته القبائل العربية منذ اكثر من الف سنة قبل المسيح لذلك اطلق المصريون القدماء على القبائل التي غزت شرقي السويس اسم اللصوص (سوزو) او النهابين ومنه اشتق اليونان اسم (هكسوس) الذي اطلقوه على الملوك الرعاة الذين خلصوا الى مصر وغزوها قبل ثلاثة آلاف سنة .

وجاء في هذا الكتاب انه يدل من العناية بتحضير هؤلاء البدو واسكانهم في عشر سنين ، ما تكلل بالنجاح على صورة لم يجر التوفيق الى ايجاد مثلها في قرون ، وان جزيرة العرب تقذف كل بضع سنة الى البلاد العامرة في الشام والعراق ، بموجات من القبائل تزحزح سكانها المقيمين فيها لتنازعهم ارضهم ومراعيهم ومياههم الخ . وحبذا لو تعلقت همة احد الادباء لنقل هذا البحث الجليل الى اللغة العربية ، فالقبائل البدوية في الشام نحو خمس السكان ، ومن العدل ان ينظر في حال هذا الجزء العظيم ، وبدون تحضيره لا تقوم للعمران عندنا قائمة .

مختصر في القضاء البدوي

« تأليف السيد تربيه طبع على الآلة الكاتبة ص ٧٩ »

Commandaut Zerrier : Essai de législation bédouine

وهذا من منشورات المفوضية العليا ايضاً ، كتبه الاستاذ تربيه من ضباط الجيش الافرنسي بعد ان قضى سنين طويلة مع البدو في بوادي الشام وحواضرها ، واطلع على أحوالهم اطلاعاً كافياً ، فكتب هذا المختصر في الشرع الذي يشرعه العربان لانفسهم ، وما اصطلحوا عليه في هذا الباب ، وفيه آثار العطف عليهم ، والعناية بشأنهم . وقد ختم هذه المجلة القضائيــة البدوية بقوله : « يجب علينا ان نعامل البدو باحكام تتفق مع مداركهم بدون ضعف ولا شدة . وهذه احسن طريقة لنتألفهم ، نقربهم منا ، ونجعل كذلك منذ الآن الا قليلاً » . وهذا ايضاً مما يجب نقله الى لغتنا ليكون منه ومما كتبه بعض السوريين والفرنج في الموضوع مادة جاهزة تنفع كما أريد البحث في شؤون بوادينا ، للتلطف في ادخال الحضارة عليهم على نحو ما تجري عليه الحكومة المنتدبة في تأليف شاردهم وإلانة شرّتهم .

م . ك

تهافت التهافت لابن رشد

« نشره الاب موريس بويج (Bouyges) اليسوعي وطبعه في المطبعة »
« الكاثوليكية في بيروت سنة ١٩٣٠ ص ٦٧٩ »

هذا هو الكتاب الثاني من سلسلة المكتبة الفلسفية (السكولاستيكية) التي اخذ الاستاذ بويج على نفسه نشرها والتعليق عليها ، على أسلوب علمي حديث (مجلة المجمع العلمي العربي ص١٢٤ م ٨) وتهافت التهافت لفيلسوف الاسلام ابن رشد مشهور معروف ، طبع طبعات غير متقنة ، وطبعه النــاشر طبعة علمية جيلة ، وعلق عليه تعليقات دلت على تمكنه من اسرار موضوعه ، وكنا نود لو كانت تعليقاته باللغة العربية فقط ، لان الكتاب اذا أريد من نشره نفع المستعربين من علماء المشرقيات ، فهم يحسنون العربيــة ، واذا كان القصد منه قراء الفرنجة على الاطلاق ، فهؤلاء ليسوا من العربية على شيء ، ويحتاجون

قبل كل امر الى نقل النص الاصلي الى لسان غربي ٠ وعلى كل فالشكر لناشر هذا السفر الممتع ، وعسى ان يقتدي الطابعون بل الناشرون والمؤلفون منا بهذا المثال وغيره من كتبنا المنشورة ، فقد قل الاتقان عندنا في نشر ماننشره فرطنا ، وكاد اتقان الغربيين في هذا الباب يعد افراطاً ٠ م ٠ ك

تاريخ سوريا

« قبل الفتح الاسلامي »

تأليف السيد امين خليفة (ب ٠ ع) طبع في مطبعة الدائرة الاستعدادية في الجامعة الاميركية في بيروت سنة ١٩٣٠ ص ٢٧٦

ARCHIVE
http://archivebeta.sakhrit.com

هذا مختصر متسق في الدول التي تعاقبت الحكم على الشام قبل الاسلام ، وقد قال مؤلفه انه استند في وضع كتابه على مؤلفات شتى انكليزية وافرنسية وعربية لاشهر المؤرخين كبراسثيد وهوار ولامنس وحتي و باتن ومسبرو وروانصن وبيفن وموممن وبوشير وغيرهم ٠ ومنهم من لا يعد في المؤرخين الا تجوزاً وبكثير من التعسف ٠ وقبل ان نشر المؤلف كتابه كان القاه على تلاميذه فرأى ان يضم الآن شتاته و ينشره سفراً للناس ، وكنا نود لو خلت عبارة المؤلف من الفاظ وتعبيرات ليست من الفصاحة العربية في شيء ٠ وهذا مما عمت به البلوى ، ولا يزال كثير ممن يمسكون القلم ليؤلفوا من السور بين يستعملونها فتنبو عن مصطلح البلغاء ، مع كثرة التنبيه الى ركاكتها وغثاثتها في المجلات والكتب التي ألفت في نقد مصطلحات كتاب العصر ٠ مثال ذلك انه عنن لاحد الفصول (ص ١٦٨) بقوله : « من هالك الى مالك الى فيضان الارواح » ٠ وقال : (ص ٢٧١) « وذهب افضلهم على الادب الروماني بين حانا ومانا » ٠ هذا الى غير ذلك من الاخطاء اللفظية التي يجب اطراحها بتاتاً في قاعات التدريس ومنابر الخطابة وتأليف الكتب ومناشير الصحافة ٠ م ٠ ك

كتاب البدع والنهي عنها

« تأليف الامام محمد بن وضاح نشره محمد دهمان في زهاء ٠٠ٍ ٦ صفحة وطبع »
« في مطبعة الاعتدال بدمشق عام ١٣٤٩ هـ »

أكثر الشارع (ص) من الوصية بحفظ الدين من البدع وحض اتباعه على النهي عنها وتمييز غثها من سمينها ، ولكن دخول أناس من غير العرب في الاسلام كان من اكبر الاسباب في نشو البدع فيه : اذ كانت هذه العناصر تحمل الى الاسلام تقاليد وآراء وأعمالاً لا تلائم روحه الطاهرة ولا تعاليمه البريئة ٠

وقد تصدى لانكار هذه البدع والنهي عنها العلماء الأعلام أمثال ابن الجوزي في تلبيس ابليس وابن حجر في الصواعق وابن الحاج الفاسي في (المدخل) وابي شامة والطرطوشي والشاطبي وغيرهم ٠ وأشد هذه البدع تغلغلاً في الدين البدع التي يشتبه امرها و يكون لها شبه اتصال بشرائع الاسلام وآدابه كاجتماع الطائفة الصوفية على الذكر والسماع والرقص وضرب السلاح وغير ذلك مما يقف المصلح ازاءه وقفة عاجز: فان نهيه عنه يشبه النهي عن ذكر الله وتمييز هذا من ذلك من أشق الامور على العلماء الآمرين الناهين ٠ وأشهر هؤلاء العلماء بل ربما كان أسبقهم الى وضع تصنيف في النهي عن البدع هو الامام محمد بن وضاح القرطبي الاندلسي في كتابه الذي سماه (البدع والنهي عنها) وقد ظفر بنسخة من هذا الكتاب الشاب الصالح الشيخ محمد احمد دهمان الدمشقي لكنه وجد فيها تصحيفاً وتحريفاً كثيراً فلبث بضع سنين ينتظر ان يظفر بنسخة ثانية من الكتاب يعارض نسخته بها فلم يتيسر له ذلك ، وفي آخر الامر عكف عليها بنفسه يصححها و يقوم اعوجاجها و يخرّج أحاديثها و يعلق عليها تعاليق تلقي عليها نوراً يكشف غموضها و يزيل الابهام عنها ٠ فكانت لنا من هذا الكتاب نسخة متقنة الوضع والطبع ، جزاه الله عن العلم والدين خير الجزاء ٠

« المغربي »

مقبرة الرجال

— او —

« مساوي الدعارة في نظر العقل والعلم »

هو عنوان لمحاضرة قيمة عظيمة المنفعة في مساوي الدعارة القاها بمصر احد كبار رجال الكهنوت وقد دعمها فيما خلا النظريات الفلسفية والاجتماعية بطائفة من البراهين العلمية وأقوال كبار اساتذة الطب . ثم الحّ عليه الكثيرون من اصدقائه بان يفرغها في قالب الطبع ليعم النفع من نشرها فأجاب رغبتهم ولكنه طبعها تحت اسم مستعار (الدكتور فرجانطون) وهذا الاسم المنتحل يقرب من اسمه الحقيقي حتى لا يغيب عن عارفيه ومريديه ولا تفوت منفعته الاباعد فانه انما ابتغى به النفع العام لا الشهرة الذاتية ، ولا يجد فيه محبو الانتقاد الباطل مادة لتسميم السنتهم ونفث هذا السم في المجتمعات . فالمؤلف من أساتذة الدين و يزعم الجهال وصغيرو العقول عندنا ان رجال الدين لا يجب ان يطرقوا الا المواضيع الدينية وان امثال موضوع هذه المحاضرة سافلة في عرفهم يجب ان يترفع عن البحث فيها اي رجل دين فضلاً عن كبير من اساتذة الدين .

وقد ملأت هذه المحاضرة النافعة كتيباً بقطع الثمن ذا ثلاث وستين صفحة كلها حكم ونصائح للشبان الذين يلازمون الخلاعة والفساد كُتبت بلغة عربية فصحى ، وأهديت الى خير من يهمه هذا الموضوع والى الشبيبة الراقية .

عبد الله رعد

عضو المجمع العلمي